مذكرة توحيد ٥ دعوة

رمز المقرر: عقد ٣٥١٥

(يتضمن مقدمات اليوم الآخر

من أشراط الساعة إلى النفخ في الصور)

استلال وتنسيق وإعداد ومواءمة مع المفردات

د. سعود بن مصلح بن حمدي الصاعدي

العام الدراسي ١٤٤٥هـ

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
فهرس المحتويات	٩
أولا: الإيمان باليوم الآخر.	٩
اليوم الآخر.	٩
تعريف اليوم– الآخر لغة.	٩
تعريف اليوم الآخر شرعاً	٩
سبب التسمية.	٩
معنى الإيمان به.	٩
حكم الإيمان باليوم الآخر.	١٠
حكم من أنكر اليوم الآخر.	١٠
أدلة اليوم الآخر.	١٠
أسماء اليوم الآخر.	١٠
دلالة كل اسم من أسماء اليوم الآخر.	١١
أدلة كل اسم من أسماء اليوم الآخر.	–
منازل الآخرة.	١٢
الأسس التي يقوم عليها معتقد أهل السنة والجماعة في اليوم الآخر.	١٣
آثار الإيمان باليوم الآخر.	١٩
ثانيا: أشراط الساعة.	٢٠

العنوان	الصفحة
تعريف أشراط الساعة لغة.	٢٠
تعريف أشراط الساعة شرعاً.	٢٠
الأدلة على أشراط الساعة.	٢٠
قرب قيام الساعة.	٢١
استئثار الله تعالى بعلم وقتها،	٢٢
الحكمة في ذلك.	٢٤
تقسيمات أشراط الساعة	٢٤
أشراط الساعة الصغرى.	٢٦
أمثلة على أشراط الساعة الصغرى بأدلتها.	٢٦
أشراط الساعة الكبرى.	٣٧
تعريف أشراط الساعة الكبرى.	٣٧
حصرها.	٣٧
أدلتها.	٣٧
ضوابط تنزيل ما أخبر به النبي ﷺ من أشراط الساعة على الواقع.	٤١
نهاية الدنيا، وقيام الساعة.	٤٢
المخالفون لأهل السنة في أشراط الساعة.	٤٣
ثمرات الإيمان بأشراط الساعة.	٤٤
ثالثا: أحكام الموت والبرزخ.	٤٥

العنوان	الصفحة
الاحتضار.	٤٥
تعريف الاحتضار لغة.	٤٥
تعريف الاحتضار شرعاً.	٤٥
أدلة الاحتضار.	٤٦
علامات الاحتضار.	٤٧
أقسام الناس عند الاحتضار وحلول الأجل.	٤٨
حكم توبة المحتضر.	٤٩
عرض الإسلام على المحتضر.	٥٠
التلقين.	٥٢
المراد بالتلقين.	٥٢
صفة التلقين، والرد على المخالفين فيه	٥٣
أدلة مشروعية التلقين عند الاحتضار	٥٤
حكم تلقين الميت بعد الدفن	٥٥
خصوصية الأنبياء بالتخيير عند الموت.	٥٧
الموت.	٥٨
حقيقة الموت.	٥٩
مسميات الموت.	٥٩
حكم الإيمان بالموت.	٦١

العنوان	الصفحة
عموم سكرات الموت.	٦١
ما ثبت في نسبة التوفي تارة إلى الله وتارة إلى الملائكة.	٦٢
الموت مخلوق وجودي.	٦٣
المخالفون في الموت والرد عليهم.	٦٣
البرزخ.	٦٥
تعريف البرزخ.	٦٥
الأدلة على البرزخ.	٦٦
المخالفون في البرزخ والرد عليهم.	٦٧
القبر.	٦٧
القبر أول منازل الآخرة.	٦٧
ضغطة القبر، معناها.	٦٨
الأدلة على ضغطة القبر.	٦٨
الفرق بين ضغطة المؤمن وضغطة الكافر.	٧٠
أدلة عذاب القبر ونعيمه.	٧٠
عذاب القبر ونعيمه يقعان على الروح والبدن.	٧٣
أنواع عذاب القبر: دائم ومنقطع.	٧٤
عذاب القبر ونعيمه من الغيب.	٧٥
أسباب عذاب القبر.	٧٦

العنوان	الصفحة
فتنة القبر وسؤال منكر ونكير.	٧٨
أدلة فتنة القبر وسؤال الملكين للميت .	٧٩
عود الروح إلى الجسد لسؤال القبر .	٨١
ملكا السؤال.	٨١
صفات ملكي السؤال.	٨١
إثبات أن السؤال يقع بعد تفرق الناس أو بعضهم.	٨٢
إثبات أن الميت يجلس في قبره للسؤال فيتكلم.	٨٢
إثبات أن الأصل في السؤال يكون عن المعتقد.	٨٢
هل يتكرر السؤال للمؤمن؟ وهل جوابه معلوم مسبقاً للملائكة	٨٣
المستثنون من فتنة القبر مع الأدلة.	٨٥
عرض المقعد على الميت، معناه.	٨٦
أدلة عرض المقعد على الميت.	٨٦
إثبات أن عذاب القبر يسمعه من يلي الميت غير الثقلين.	٨٨
أسباب النجاة من عذاب القبر.	٨٩
ما ورد في سماع الأموات كلام الأحياء.	٩٠
حقيقة الخلاف في سماع الأموات	٩١
عرض أعمال الأحياء على الأموات.	٩٣
حكم تلاوة القرآن على القبور، وحكم أخذ الأجرة أو الرزق على ذلك.	٩٥

العنوان	الصفحة
الرد على منكري عذاب القبر ونعيمه.	٩٦
اطلاع الأحياء على حياة البرزخ.	١٠٤
زيارة القبور المشروعة والممنوعة.	١٠٦
انتفاع الأموات بسعي الأحياء.	١٠٧
رابعا: الروح والنفس	١١٥
المراد بالروح.	١١٥
إطلاقات الروح.	١١٦
المراد بالنفس، والفرق بينها وبين الروح.	١١٧
وقت نفخ الروح، وأقوال الناس فيه.	١١٨
حكم الكلام في الروح.	١١٨
منزلة الروح من الغيب.	١١٩
أنواع تعلق الروح بالبدن.	١٢١
حدوث الروح المراد به.	١٢٢
زمن حدوث الروح.	١٢٤
أدلة حدوث الروح.	١٢٤
صفات الروح في دورها المتعددة.	١٢٥
موت الروح، والخلاف في ذلك.	١٢٨
مستقر الأرواح في البرزخ.	١٣٠

العنوان	الصفحة
دعوى تناسخ الأرواح.	١٤٠
المراد بتناسخ الأرواح.	١٤٠
الرد على دعوى تناسخ الأرواح.	١٤٠
تحضير الأرواح.	١٤٠
المراد بتحضير الأرواح.	١٤٠
الرد على دعوى تحضير الأرواح.	١٤١
تلاقي الأرواح (أرواح الأموات مع بعضها، وأرواح الأحياء مع الأموات).	١٤٢
تطبيق ما درسه الطالب في مسائل الروح على ما جد من المسائل، مثل: الروحية الحديثة والتنويم المغناطيسي، وغيرهما.	١٤٧
خامسا : النفخ في الصور.	١٤٧
تعريف الصور.	١٤٧
المراد بالنفخ في الصور.	١٤٨
الأدلة على النفخ في الصور.	١٤٩
الملك الموكل بالنفخ في الصور.	١٥٠
وقت التقام صاحب القرن القرن.	١٥١
عدد مَنْ ينفخ في الصور.	١٥١
مكان من ينفخ في الصور.	١٥١
صفة من ينفخ في الصور.	١٥١

العنوان	الصفحة
عدد النفخات، والخلاف في ذلك.	١٥٢
مدة ما بين النفختين	١٥٥
النفخة الأولى	١٥٥
ما يترتب على النفخة الأولى من آثار	١٥٦
النفخة الثانية	١٥٨
ما يترتب على النفخة الثانية من آثار	١٥٩
حقيقة الصعق.	١٦٠
المستثنون من الصعق.	١٦٠
عدد الصعقات...	١٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الإيمان باليوم الآخر:

تعريف اليوم الآخر :

اليوم لغة: الواحد من الأيام، وهو مذكر، وجمعه أيّام، وأصله أَيْوامٌ.

وقد يراد باليوم: الوقت مطلقًا، ليلاً كان أو نهارًا، قليلاً كان أو كثيرًا، كيوم الدين؛ لعدم الطلوع والغروب حينئذ، وكقولهم: ذخرتك لهذا اليوم؛ أي: لهذا الوقت.

والآخر : الهمزة والخاء والراء أصل واحد إليه ترجع فروعه، ويأتي الآخر في اللغة بعدة معان، منها: الباقي، والتالي للأول، والغائب، ونقيض وخلاف المتقدم، ومقابل الأول، ولا يتعدد.

واليوم الآخر شرعاً: هو يوم القيامة الذي لا يوم بعده، والذي تعاد فيه الأرواح إلى الأجساد، وتبعث فيه الخلائق للجزاء والحساب.

وسمي باليوم الآخر؛ لأنه آخر يوم، فلا يوم بعده، وهو يوم واحد لا ليل فيه.

ومعنى الإيمان باليوم الآخر: الاعتقاد الجازم واليقين التام بكل ما ورد في أخبار ذلك اليوم، وما يتعلق به.

كيفية الإيمان باليوم الآخر: الإيمان باليوم الاخر يكون مجملا ومفصلا، فالمجمل هو القدر الذي لا يتم ايمان العبد باليوم الآخر إلا به، وهو الإيمان بأن هناك يوما آخرا يبعث الله العباد فيه، فيجازيهم على أعمالهم.

وأما الإيمان المفصل فهو القدر الذي يكون تبعا للعلم التفصيلي الذي يبلغ المكلف من نصوص الكتاب والسنة، وهو الإيمان بكل ما أخبر الله به في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من فناء هذه الدنيا، وأشراط الساعة وعلاماتها، وما يكون في القبر من السؤال والجواب، والعذاب أو النعيم للميت، والبعث بعد الموت والحساب والميزان والجنة والنار إلى غير ذلك مما جاء ذكره وبيانه في القرآن الكريم والأحاديث النبوية. فالإيمان التفصيلي مبني على المعرفة التفصيلية بنصوص الوحيين الشريفين: الكتاب والسنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «على كل مكلف أن يقر بما ثبت عنده، من أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر به وأمر به، وأما ما أخبر به الرسول ولم يبلغه أنه أخبر به، ولم يمكنه العلم بذلك، فهو لا يعاقب على ترك الإقرار به مفصلاً، وهو داخل في إقراره بالمجمل العام».

حكم الإيمان باليوم الآخر: الإيمان باليوم الآخر فرض وركن من أركان الإيمان؛ فهو الركن الخامس من أركان الإيمان.

ومنكره كافر؛ لقول الله تعالى: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا *} [النساء:] .

أدلة الإيمان باليوم الآخر: كثيرة جداً في الكتاب والسنة ، منها: قال الله تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} [البقرة: ١٧٧].

ولما سأل جبريل عليه السلام النبي صلّى الله عليه وسلّم عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

وقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «سلوا الله العفو والعافية واليقين في الآخرة والأولى».

وقال صلى الله عليه وسلم: "...ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت".

***أسماء اليوم الآخر ، ودلالتها ، وأدلتها:**

أسماء اليوم الآخر كثيرة، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وعظمه، فتعدد أسماء يوم القيامة يدل على عظم ذلك اليوم وشرفه وشدة أهواله.

ودلالات أسماء يوم القيامة متنوعة بحسب معنى كل اسم وما يدل عليه من أحوال وأهوال.

فمن أسماء اليوم الآخر: الحاقة، والواقعة، والقيامة، والغاشية، والطامة، والصاخَّة، والقارعة، ويوم الدين، ويوم الحساب، ويوم الجمع، ويوم الخلود، ويوم الخروج، ويوم الحسرة، ويوم التناد ويوم التغابن. وغير ذلك من الأسماء ، وأدلتها متظافرة في الكتاب والسنة.

دلالة كل اسم من أسماء اليوم الآخر:

١- يوم البعث: لأن فيه البعث والحياة بعد الموت

٢- يوم الخروج: لأن فيه خروج الناس من قبورهم إلى الحياة الأخرى.

٣- يوم القيامة: لأن فيه قيام الناس للحساب.

٤- يوم الدين: لأن فيه إدانه الخلائق ومجازاتهم على أعمالهم.

٥- يوم الفصل: لأن فيه الفصل بين الناس بالعدل.

٦- يوم الحشر: لأن فيه يجمع الخلائق وحشرهم في موقف الحساب.

٧- يوم الجمع: لأن الله يجمع فيه الناس للجزاء.

٨- يوم الحساب: لأن فيه محاسبة الناس على أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

٩- يوم الوعيد: لأن فيه تحقيق وعيد الله للكافرين.

١٠- يوم الحسرة: لأن فيه حسرة الكافرين.

١١- يوم الخلود: لأن الحياة في هذا اليوم حياة خالدة أبدية.

١٢- الدار الآخرة: لأنها بعد دار الدنيا، وهي دار باقية ليس بعدها انتقال إلى دار أخرى.

١٣- دار القرار: لأنها الاستقرار الدائم بلا فناء ولا انتقال.

١٤- دار الخلد: لأن الإقامة أبدية.

١٥- الواقعة: لتحقق وقوعها.

١٦- الحاقة: لأنها تحق كل مجادل وخاصم بالباطل؛ بمعنى: تغلبه.

١٧- القارعة: لأنها تقرع الأسماع والقلوب بأهوالها.

١٨- الغاشية: لما يجري فيها من غشيان عام للثقلين.

١٩- الطامة: لأنها تغلب وتفوق ما سواها من الدواهي.

٢٠ – الآزفة: أي: القريبة، سميت بذلك إشعارًا بقربها بالنسبة إلى عمر الدنيا.

٢١– يوم التغابن: لأن أهل الجنة يغبنون أهل النار.

٢٢– يوم التناد: لأنه يدعى فيه كل أناس بإمامهم، وينادى بعضهم بعضا، وينادي أهل الجنة أهل النار، وأهل النار أهل الجنة، وينادي أصحاب الأعراف.

***منازل الآخرة**: المنازل جمع منزلة، وهي المكان المهول الذي ينزله الناس يوم القيامة ثم ينتقلون منه إلى غيره حتى ينتهي بهم المطاف إلى جنة أو نار.

ومنازل الآخرة متنوعة ومتعددة الأحوال والأهوال. جاء في الحديث أن (القبر أول منازل الآخرة).

وللعلماء كلام كثير في ذكرها وترتيبها ، ومن أقرب ما ذكر في ذلك الترتيب الآتي:

القبر

البعث والنشور

القيام الطويل في أرض المحشر

الحوض

الشفاعة العظمى

عرض الأعمال

الحساب

تطاير الصحف

قراءة ما في الصحف

الميزان

انقسام الناس إلى أقسام بحسب ما ظهر من نتائج صحفهم

عقد الألوية

تساقط الكفار في النار

النور والظلمة قبل المرور على السراط

تساقط المنافقين في النار بعد انطماس نورهم

الصراط

القنطرة

دخول الجنة والنار.

*** الأسس التي يقوم عليها معتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان باليوم الآخر:**

هي أسس العقيدة الإسلامية المستصحبة في عامة أبواب الغيب ، ويجمعها الأسس الآتية :

١- التسليم لنصوص الكتاب والسنة المثبتة لليوم الآخر وصفة أحواله وأهواله ومنازله ومواقفه، والإيمان بها وبما دلت عليه.

ومن تطبيقات هذا الأساس:

أ- أنه لا يقطع لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار أو يجزم له بالشهادة إلا بنص .

عن خارجة بن زيد بن ثابت، أن أم العلاء، امرأة من الأنصار بايعت النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته: أنه اقتسم المهاجرون قرعة فطار لنا عثمان بن مظعون، فأنزلناه في أبياتنا، فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك: لقد أكرمك الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وما يدريك أن الله قد أكرمه؟» فقلت: بأبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله؟ فقال: «أما هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري، وأنا رسول الله، ما يفعل بي» قالت: فوالله لا أزكي أحدا بعده) [١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر، فلم نغنم ذهبا ولا فضة، إلا الأموال والثياب والمتاع، فأهدى رجل من بني الضبيب، يقال له

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٧٢)برقم (١٢٤٣).

رفاعة بن زيد، لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما، يقال له مدعم، فوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى، حتى إذا كان بوادي القرى، بينما مدعم يحط رحلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا سهم عائر فقتله، فقال الناس: هنيئا له الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلا، والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم، لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه نارا» فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك – أو شراكين – إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: " شراك من نار – أو: شراكان من نار – ". فهذان الحديثان يؤكدان لنا هذا المعتقد من عقيدة أهل السنة، وهو قائم على أساس التسليم لنصوص الكتاب والسنة في هذا الباب والوقوف عند حدوده.

ب- سماع الميت في قبره كلام الأحياء: فما ثبت من سماعه نثبته ، وما لا فلا . كما جاء في حديث البراء: (...إنه ليسمع قرع نعالهم).- وستأتي المسألة مفصلة.

ج- وصول ثواب الأعمال إلى الميت: فما دل الدليل عليه أن الميت ينتفع به كالدعاء ونحوه أثبتناه، وما لم يدل عليه الدليل فلا نثبته. وستأتي المسألة بالتفصيل.

٢- فهم نصوص اليوم الآخر بفهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان.

من تطبيقات هذا الأساس وأمثلته: الميزان. قال تعالى: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ } [الأعراف: ٨، ٩]. وفي حديث صاحب البطاقة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: إنك لا تظلم "، قال:

«فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»[1].

فدل ظاهر الآية وصريح الحديث على أن الوزن حقيقي وأنه للعامل وعمله، وأن الميزان محسوس وحقيقي له كفتان.

وهذا هو الذي فهمه السلف من نصوص الميزان وأجمعوا عليه؛ خلافا للجهمية والمعتزلة الذين خاضوا في تفسيره بعقولهم فأنكروا أن يكون الميزان محسوساً وفسروه بالعدل والإنصاف!! وهذا باطل وحمل للنصوص على غير ظاهرها كما عليه أهل الكلام.

٣- قطع الطمع عن إدراك حقائق اليوم الآخر وكيفية أحواله وأهواله ونعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار. وهذا أساس مهم في باب الإيمان بالغيب ومنه الإيمان باليوم الآخر.

والقاعدة في هذا : الإيمان والتسليم بمضمون النص مع إثبات المعنى المفهوم من لغة العرب كما فهمه السلف الصالح، وتفويض الكيفية ؛ لأن أحوال الآخرة بالنسبة لنا غيب لا ندرك حقائقه، وإن كنا نعلم معانيه ونفهم المراد من نصوصه في الجملة.

وهذا الأساس مستفاد من قواعد السلف في أسماء الله وصفاته كقول الإمام مالك في الاستواء : (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة).

وهي قاعدة صالحة لكل ما أخبر الله به ورسوله من أسماء الله وصفاته ولذلك عممها العلماء على سائر الباب ولم يقصروها على صفة الاستواء.

وتعميمها على كل أمر غيبي مطرد لا إشكال فيه؛ لأن العلة في الجميع واحدة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء).

يعني أن الأسماء معلومة المعنى، ولكن المسمى بها من أمور الجنة يختلف في حقيقته وصفته عما في الدنيا.

ومن تطبيقات هذا الأساس وأمثلته: ما جاء في صفة عذاب الكافر في النار وعظم خلقه:

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه [والترمذي كما في سننه (٥/ ٢٤) برقم (٢٦٣٩) وصححه الألباني].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ضرس الكافر، أو ناب الكافر، مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث»[١].

فهذا الحديث يدل على أن خلق الكافر يعظم في النار ومكان عذابه ، نعرف معناه ونسلم به وإن كنا لا ندرك حقيقته وكيفيته بعقولنا.

ومن ذلك ما جاء في كلام النار وشكواها ونحو ذلك نؤمن به على ما جاء في النصوص وإن كنا لا ندرك كيفيته.

وهذا يدعونا إلى الأساس الأول والتأكيد عليه وهو التسليم لنصوص الكتاب والسنة في هذا الباب وتقديمها على العقل المجرد ، كما يؤكد لنا الأساس التالي ، وهو:

٤- عدم الخوض في أحوال الآخرة بالعقول القاصرة. وذلك أن اليوم الآخر وكل ما فيه غيب فلا مجال للعقول لإدراكه وليس أمام العقول إلا الإيمان والتسليم.

ومن تطبيقات هذا الأساس وأدلته:

أ- إن ما في الآخرة قد يتفق مع ما في الدنيا في الأسماء لكنه يختلف عنها في الحقيقة والكيفية:

جاء في الحديث: " ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء مِن سَبْعِينَ جُزْءًا، مِن حَرِّ جَهَنَّمَ" قالوا: واللَّهِ إنْ كانَتْ لَكافِيَةً، يا رَسولَ اللهِ، قالَ: "فإنَّها فُضِّلَتْ عليها بتِسْعَةٍ وسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّها مِثْلُ حَرِّها". وفي رواية : "كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّها." رواه مسلم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء).

وقال ابن القيم – رحمه الله-: (فقد تضمنت هذه النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة والحلوى وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر)[٢].

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢١٨٩).

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: ١٩١).

فخمر الجنة مثلا لا يسكر ويغطي العقول ويغتالها كخمر الدنيا الخبيث بل هو عذب طيب. قال تعالى: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧) } [الصافات: ٤٥ - ٤٨] وقال تعالى عن أنهار الجنة: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى } [محمد: ١٥]. فأنهار الدنيا كلها متغيرة الطعم بالجريان وتأسن بمخالطة مياهها لغيرها. أما أنهار الآخرة فما كان منها من الماء فهو صاف وعذب غير متغير الطعم، كما تتميز أنهار الآخرة بأنها تكون أيضاً من لبن وخمر وعسل مصفى وذلك لا وجود لمثله في الدنيا ولا يعقل أهل الدنيا كيفيته ولا صفته؟ وليس لنا إلا الإيمان والانقياد والتسليم، واتهام عقولنا عند قول الله وقول رسوله

ب- إن ما عرفنا لحدوثه سببا في الدنيا لا يلزم أن يكون كذلك في الآخرة. فالظل مثلا في الدنيا: يحدث بسبب سطوع ضوء الشمس على جسم غير شفاف كجبل أو حجر أو شجر أو جدار من جهة فينشأ الظل من الجهة الأخرى.

أما الظل في الآخرة فلم يثبت في منشئه خبر يستند إليه فوجب أن نقف حيث وقفت النصوص. جاء في الحديث: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...). قيل: هو ظل العرش كما في بعض الروايات. وقيل: هو ظل مضاف إلى الله. الله أعلم بكيفيته. وعلى القولين فليس لنا الخوض في منشئه أو الجزم بنسبته إلى الشمس أو غيرها؛ لأن ذلك دخول في الصفة والكيفية.

وكذلك القول في ظلال الجنة ومنشئها واختلافها عن ظلال الدنيا —كما سيأتي من كلام ابن القيم رحمه الله قريباً-.

ج- إن ما أدركنا نتيجته أو نهايته في الدنيا لا يلزم أن يكون كذلك في الآخرة.

فالحياة الدنيا تنتهي بالموت، لكن الحياة الآخرة دائمة لا يعقبها موت.

والمأكول والمشروب من الإنسان والحيوان في الدنيا ينتهي من الإنسان إلى بول وغائط نجسين، ومن الحيوان إلى روث. بينما ما يطعمه الإنسان في الجنة يتحول إلى رشح طيب كرشح المسك.

ولابن القيم – رحمه الله– كلام نفيس في هذا الباب :

قال رحمه الله في معرض كلامه عن شواء الطير في الجنة: (فإن قيل: فأين يشوي اللحم وليس في الجنة نار فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوي بـ: "كن" وأجاب آخرون: بأنه يشوى خارج الجنة ثم يؤتي به إليهم والصواب: أنه يشوى في الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لإنضاجه وإصلاحه كما قدر هناك أسبابا لإنضاج الثمر والطعام على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح لا تفسد شيئا، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مجامرهم الألوة" و"المجامر" جمع جمرة وهو البخور الذي يتبخر بإحراقه والإلوة العود المطري فأخبر أنهم يتجمرون به أي يتبخرون بإحراقه لتسطع لهم رائحته، وقد أخبر سبحانه أن في الجنة ظلالا والظلال لا بد أن تفيء مما يقابلها فقال {هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ} وقال {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ} وقال {وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً} فالأطعمة والحلوى والتجمر تستدعي أسباب تتم بها والله سبحانه خالق السبب والمسبب وهو رب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو وكذلك جعل لهم سبحانه أسبابا تصرف الطعام من الجشاء والعرق الذي يفيض من جلودهم فهذا سبب إخراجه وذاك سبب إنضاجه وكذلك جعل في أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه ويهيئه لخروجه رشحا وجشاء وكذلك ما هناك من الفواكه والثمار يخلق لها من الحرارة ما ينضجها ويجعل سبحانه أوراق الشجر ظلالها فرب الدنيا والآخرة واحد وهو الخالق للأسباب والحكم ما يخلقه في الدنيا والآخرة والأسباب مظهر أفعاله وحكمته ولكنها تختلف)[1].

والخلاصة: أن هذا الباب لا مجال للعقل فيه كسائر أبواب الغيب. والله أعلم

٥– الاستفادة من الحجج العقلية الواردة في الكتاب والسنة في إثبات البعث والمعاد وغيرهما من أمور اليوم الآخر. وهي كثيرة في هذا الباب.

[تطبيق ومثال: الآيات السبع من آخر سورة يس].

(١) المصدر السابق (ص: ١٩١–١٩٢).

***آثار الإيمان باليوم الآخر وثمراته:**

ذَكَرَ السَّعديُّ – رحمه الله– ثَمَراتٍ عَديدة لِلإيمانِ باليَومِ الآخِرِ فقال:

(مِنها: أنَّ الإيمانَ باليَومِ الآخِرِ أحَدُ أركانِ الإيمانِ السِّتَّةِ، الَّتي لا يَصِحُّ الإيمانُ بدونِها، وكُلَّما ازدادَت مَعرِفتُه بتَفاصيلِه، ازدادَ إيمانُه.

ومِنها: أنَّ العِلمَ بذلك حَقيقةَ المعرفةِ يَفتَحُ لِلإنسانِ بابَ الخَوفِ والرَّجاءِ، اللَّذَينِ إنْ خَلَا القَلبُ مِنهما خَرِبَ كُلَّ الخَرابِ، وإنْ عَمُرَ بهما أوجَب لَه الخَوفُ الانكِفافَ عَنِ المعاصي، والرَّجاءُ تَيسيرَ الطَّاعةِ وتَسهيلَها، ولا يَتِمُّ ذلك إلَّا بمَعرِفةِ تَفاصيلِ الأمورِ الَّتي يُخافُ مِنها وتُحذَرُ؛ كأحوالِ القَبرِ وشِدَّتِه، وأحوالِ الموقِفِ الهائِلةِ، وصِفاتِ النَّارِ المفظِعةِ. وبمَعرِفةِ تَفاصيلِ الجَنةِ وما فيها مِنَ النَّعيمِ المقيمِ، والحَبْرةِ والسُّرورِ، ونَعيمِ القَلبِ والرُّوحِ والبَدنِ، فيَحدُثُ بسَبَب ذلك الاشتياقُ الدَّاعي لِلاجتِهادِ في السَّعيِ لِلمَحبوبِ المطلوبِ، بكُلِّ ما يَقْدِرُ عليه.

ومِنها: أنَّه يَعرِفُ بذلك فضلَ اللهِ وعَدْلَه في المجازاةِ على الأعمالِ الصَّالِحةِ والسَّيِّئةِ، الموجِبَ لِكَمالِ حَمدِه والثَّناءِ عليه بما هو أهلُه. وعلى قَدرِ عِلمِ العَبدِ بتَفاصيلِ الثَّوابِ والعِقابِ، يَعرِفُ بذلك فضلَ اللهِ وعَدلَه وحِكْمَتَه) .

وقال أيضًا عن الإيمانِ باليومِ الآخِرِ: (أعظَمُ باعثٍ على الرَّغبةِ والرَّهبةِ والعَمَلِ) .

وقال أيضًا: (إنَّ الإيمانَ بالبَعثِ والجَزاءِ أصلُ صَلاحِ القُلوبِ وأصلُ الرَّغبةِ في الخَيرِ، والرَّهبةِ مِنَ الشَّرِّ، اللَّذَينِ هما أساسُ الخَيراتِ) .

وقال ابنُ عُثَيمين: (لِلإيمانِ باليَومِ الآخِرِ ثَمَراتٌ جَليلةٌ؛ مِنها:

الأولَى: الرَّغبةُ في فِعلِ الطَّاعةِ والحِرصُ عليها رِجاءً لِثَوابِ ذلك اليَومِ.

الثَّانيةُ: الرَّهبةُ من فِعلِ المعصيةِ والرِّضا بها خَوفًا من عِقابِ ذلك اليَومِ.

الثَّالِثةُ: تَسليةُ المؤمِنِ عَمَّا يَفوتُه مِنَ الدُّنيا بما يَرجوه من نَعيمِ الآخِرةِ وثَوابِها).

ثانياً: أشراط الساعة:

***تعريف أشراط الساعة:**

الأشراط لغة: الأشراط: جمع شَرَط – بالتحريك–، والمراد به العلامة التي تميز الشيء عن غيره. قال ابن فارس رحمه الله: «الشين والراء والطاء أصلٌ يدل على عَلَم وعلامة».

وأشراط الشيء أوائله، ومنه: شُرط السلطان، وهم خيار أصحابه المقدمون على غيرهم من أتباعه، جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها للأعداء.

والساعة لغة: من مادة: (س.و.ع)، و«السين والواو والعين يدل على استمرار الشيء، ومُضيّه»، والساعة سميت بذلك؛ لأنها تمضي وتستمر، والساعة: جزء من أجزاء الزمان.

والمراد بالساعة في الاصطلاح الشرعي: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وسميت كذلك لأنها تفجأ الناس في ساعة، فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة. أو: أنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم؛ فلقلة الوقت الذي تقوم فيه سماها ساعة.

فأشراط الساعة: هي علامات القيامة التي تسبقها وتدل على قربها.

وقيل: «ما ينكره الناس من صغار أمورها قبل أن تقوم الساعة».

وتسمى أشراط الساعات: علامات...، وأمارات...، وأشراط....، ودلائل.... والمعنى واحد.

***الأدلة على أشراط الساعة:**

أي الأدلة على أن للساعة أشراطاً وعلامات –في الجملة – تسبق وقوعها.

دل الكتاب والسنة على أن للساعة أشراطاً وعلامات وأمارات تسبقها.

فمن أدلة الكتاب:

١– قال الله تعالى: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا} [محمد: ١٨] ؛ أي: دنت.

٢- وقال تعالى: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [الزخرف: ٦١]. قرأ ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة: "وإنه لَعَلَمٌ للساعة..." .

(قال ابن قتيبة: من قرأ بكسر العين فالمعنى أنه يُعْلَم به قُرْبُ الساعة، ومن فتح العين واللام فإنه بمعنى العلامة والدليل) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي(٤/ ٨٢).

قال الطبري: (معنى الكلام: وإن عيسى ظهوره علم يعلم به مجيء الساعة، لأن ظهوره من أشراطها ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا، وإقبال الآخرة.) تفسير الطبري (٢١/ ٦٣١).

ومن أدلة السنة:

١- ما جاء في حديث جبريل الطويل من حديث عمر رضي الله عنه في بيان أركان الإيمان والإسلام والإحسان: (...قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان...) صحيح مسلم (١/ ٣٧) برقم٨.

٢- وما جاء في حديث جبريل أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفيه: قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها». وغيره من الأحاديث.

وستأتي أدلة الأشراط مفصلة في مفردات لاحقة- بإذن الله.

***قرب قيام الساعة:**

دلت الأدلة من الكتاب والسنة على قرب قيام الساعة، وتنوعت الأدلة في الدلالة على هذا المعنى:

فمن أدلة الكتاب:

١- قال الله تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: ١].

٢- وقال تعالى: { وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا} [الأحزاب: ٦٣].

٣- وقال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ } [الشورى: ١٧].

٤- وقال تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر: ١]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ومن أدلة السنة:

١- عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين»(١).

٢- سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بإصبعيه هكذا، بالوسطى والتي تلي الإبهام «بعثت والساعة كهاتين»(٢).

قال ابن رجب رحمه الله: (فسر....بقرب زمانه من الساعة، كقرب السبابة من الوسطى، وبأن زمن بعثته تعقبه الساعة من غير تخلل نبي آخر بينه وبين الساعة) (٣).

***استئثار الله تعالى بعلم وقت قيام الساعة:**

مع ما جعل الله جل وعلا ورسوله صلى اله عليه وسلم من أمارات على قرب الساعة إلا أن الله استأثر بعلم وقت قيام الساعة؛ فلا يعلم أحد متى تقوم الساعة بالتحديد إلا الله تعالى.

والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة كثيرة.

فمن أدلة الكتاب:

١- قول الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [الأعراف: ١٨٧].

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ١٠٦) برقم ٦٥٠٤. زاد في رواية: (إن كادت لتسبقني). أخرجه أحمد والطبري وسنده حسن. انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٤٨).

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٦٦) برقم ٤٩٣٦.

(٣) فتح الباري لابن رجب (٤/ ٣٣٥).

٢- وقوله تعالى: {يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا } [الأحزاب: ٦٣].

٣-وقوله تعالى: {إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ } [فصلت: ٤٧].

٤- {وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [الزخرف: ٨٥].

٥- {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا } [النازعات: ٤٢ - ٤٥].

٦- {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ٣٤].

وهذه الخمس تسمى مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله.

كما سيأتي بيان ذلك قريباً في أدلة السنة.

ومن أدلة السنة:

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله "[١].

٢- ما جاء في حديث جبريل الطويل في بيان أركان الإيمان والإسلام والإحسان: (...قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»...)[٢].

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ٧٩) برقم ٤٦٩٧.

(٢) صحيح مسلم (١/ ٣٧) برقم(٨).

٣-وعن جابر بن عبد الله، يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول قبل أن يموت بشهر: «تسألوني عن الساعة؟، وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة»[١].

قال ابن كثير – رحمه الله-: (فهذا النبي الأمي سيد الرسل وخاتمهم محمد صلوات الله عليه وسلامه نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة والعاقب والمقفى والحاشر الذي تحشر الناس على قدميه، مع قوله فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث أنس وسهل بن سعد رضي الله عنهما «بعثت أنا والساعة كهاتين» وقرن بين إصبعيه السبابة والتي تليها ، ومع هذا كله قد أمره الله أن يرد علم وقت الساعة إليه إذا سئل عنها، فقال : {قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ})[٢].

***الحكمة من ذلك:**

أ- الحكمة من إخفاء وقت قيام الساعة:

شاء الله عزّ وجل أن يكون موعد الساعة من الغيب الذي لم يطلع عليه أحد من عباده، إذ لو كان معلومًا لهم؛ لتكدرت حياتهم، وتوقف نشاطهم، ولربما أصابهم اليأس والقنوط. لذا فإنه لا مصلحة للعباد في معرفة وقت الساعة؛ وإنما جعل الله دلائل وعلامات دالة عليها؛ ليكونوا من موعدها في حذر دائم واستعداد مستمر.

ب- الحكمة من أشراط الساعة:

قال القرطبي: (قال العلماء رحمهم الله : والحكمة في تقديم أشراط الساعة ودلالة الناس عليها: تنبيه الناس عن رقدتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة؛)[٣].

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٩٦٦) برقم ٢٥٣٨.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٣).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١٢١٧/٣).

***تقسيمات أشراط الساعة[١]:**

أ- تقسيم أشراط السّاعة من حيث ظهورها إلى ثلاث أقسام :

١ - قسم ظهر وانقضى.

٢ - قسم ظهر ولا زال يتتابع ويكثر.

٣ - قسم لم يظهر إلى الآن.

فأمّا القسمان الأولان؛ فهما من أشراط السّاعة الصغرى، وأمّا القسم الثّالث؛ فيشترك فيه الأشراط الكبرى وبعض الأشراط الصغرى.

ب- تقسيم أشراط الساعة باعتبار الكبر والصغر إلى قسمين: ١- صغرى. ٢- وكبرى.

١- أشراط الساعة الصغرى: هي الّتي تتقدَّم السّاعة بأزمان متطاولة، وتكون من نوع المعتاد؛ كقبض العلم، وظهور الجهل، وشرب الخَمْرِ، والتطاول في البنيان ... ونحوها، وقد يظهر بعضها مصاحبًا للأشراط الكبرى، أو بعدها.

٢- أشراط الساعة الكبرى : هي الأمور العظام الّتي تظهر قرب قيام السّاعة، وتكون غير معتادة الوقوع؛ كظهور الدجَّال، ونزول عيسى -عليه السّلام-، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشّمس من مغربها .

ج- تقسيم أشراط الساعة باعتبار الأحاديث الواردة:

لعل مما يضبط به الفرق بين أشراط الساعة الصغرى والكبرى حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه:

روى الإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه؛ قال: اطَّلع النبيُّ - صلّى الله عليه وسلم - علينا ونحن نتذاكر، فقال: "ما تذاكرون"؟ قالوا: نذكر السّاعة. قال: "إنها لن تقومَ حتّى ترونَ قبلها عشر آيات"، فذكر: الدُّخان، والدَّجَّال، والدَّابَّة، وطلوع الشّمس من

(١) انظر: أشراط الساعة ليوسف الوابل.

مغربها، ونزول عيسى بن مريم – صلّى الله عليه وسلم –، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد النَّاس إلى محشرهم". وروي بألفاظ أخرى .

فعلى ذلك: يمكن القول بأن أشراط الساعة الكبرى هي العشر المذكورة في حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه، وأشراط الساعة الصغرى ما عدا ذلك وإن تزامن مع الأشراط الكبرى كخروج المهدي ، والريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين، وفتح القسطنطينية. والله أعلم.

***أولاً: أشراط الساعة الصغرى:**

أمثلة على أشراط الساعة الصغرى بأدلتها(١):

١ – بعثة النّبيّ – صلّى الله عليه وسلم –:

أخبر – صلّى الله عليه وسلم – أن بعثتَهُ دليلٌ على قرب قيام السّاعة، وأنّه نبيُّ السّاعة:

ففي الحديث عن سهل رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلم –: "بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين"، ويشير بإصبعيه فيمدّهُما.

وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلم –: "بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين". قال: وضمَّ السبابة والوسطى.

وعن قيس بن أبي حازم عن أبي جُبيرة مرفوعًا: "بُعِثْتُ في نسم السّاعة".

فأول أشراط السّاعة بعثة المصطفى – صلّى الله عليه وسلم –، فهو النبيُّ الأخير، فلا يليه نبيٌّ آخر، وإنّما تليه القيامة كما يلي السبابة والوسطى، وليس بينهما إصبع خرى، أو كما يفضل إحداهما الأخرى ويدلُّ على ذلك رواية التّرمذيّ: "بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين – وأشار أبو داود بالسبابة والوسطى – فما فضل إحداهما على الأخرى" وفي رواية مسلم: "قال شعبةُ:

(١) مختارة من كتاب أشراط الساعة ليوسف الوابل.

وسمعتُ قتادة يقول في قصصه: كفضل إحداهما على الأخرى. فلا أدري أذكره عن أنس أو قاله قتادة"

قال القرطبي: "أولها النّبيّ – صلّى الله عليه وسلم –؛ لأنّه نبي آخر الزّمان، وقد بُعِثَ وليس بينه وبين القيامة نبيٌّ"

قال تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ (٤٠)} [الأحزاب: ٤٠].

٢ – موت النّبيّ – صلّى الله عليه وسلم –:

من أشراط السّاعة موتُ النّبيّ – صلّى الله عليه وسلم –، ففي الحديث عن عوف بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلم –: "اعدُدْ ستًّا بين يدي السّاعة: موتي ... " الحديث.

فقد كان موت النّبيّ – صلّى الله عليه وسلم – من أعظم المصائب الّتي وقعت على المسلمين، فقد أظلمتِ الدُّنيا في عيون الصّحابة رضي الله عنهم عندما مات عليه الصّلاة والسلام.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: "لما كان اليوم الّذي دخل فيه رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – المدينة؛ أضاء منها كلّ شيء، فلما كان اليوم الّذي مات فيه؛ أظلمَ منها كلّ شيء، وما نفضنا عن رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – الأيدي – وإنا لَفي دَفْنِه – حتّى أنكرنا قلوبَنا"

قال ابن حجر: "يريد أنّهم وجدوها تغيَّرت عمّا عهدوه في حياته من الألفة، والصفاء، والرقة؛ لفقدان مَا كان يمدُّهم به من التعليم والتأديب".

٣ – فتح بيت المقدس:

ومن أشراط السّاعة فتح بيت المقدس، فقد جاء في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "اعدُدْ ستًّا بين يدي السّاعة: ... (فذكر منها:) فتح بيت المقدس"

ففي عهد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه تَمَّ فتح بيت المقدس سنة ست عشرة من الهجرة؛ كما ذهب إلى ذلك أئمَّة السِّيَر، فقد ذهب عمر رضي الله عنه بنفسه، وصالح أهلها، وفتحها، وطهَّرها من اليهود والنصارى، وبنى بها مسجدًا في قبلة بيت المقدس.

٤ – طاعون عمواس :

جاء في حديث عوف بن مالك السابق قوله – صلّى الله عليه وسلم –: "اعدُدْ ستًّا بين يدي السّاعة: ... (فذكر منها:) ثمّ مَوَتان يأخذ فيكم كقُعاصِ الغنم"

قال ابن حجر: "يُقال: إن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس" .

ففي سنة ثمان عشرة للهجرة على المشهور الّذي عليه الجمهور (٦) وقع طاعون في كورة عمواس، ثمّ انتشر في أرض الشّام، فمات فيه خلق كثير من الصّحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم؛ قيل: بلغ عدد مَنْ مات فيه خمسةٌ وعشرونَ ألفًا من المسلمين، ومات فيه من المشهورين: أبو عُبيدة عامر بن الجرَّاح، أمين هذه الأمة، رضي الله عنه.

٥ – استفاضة المال والاستغناء عن الصَّدقة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – قال: "لا تقومُ السّاعة حتّى يكثر فيكم المال، فيفيض، حتّى يُهِمَّ رَبَّ المالِ مَنْ يقبله منه صدقة، ويُدعى إليه الرَّجل، فيقول: لا أرب لي فيه"

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النّبيّ – صلّى الله عليه وسلم –؛ قال: "ليأتِيَنَّ على الناسِ زمانٌ يطوف الرَّجلُ فيه بالصدقة من الذهب، ثمّ لا يجد أحدًا يأخذها منه"

وأخبر – صلّى الله عليه وسلم – أن الله تعالى سيعطي هذه الأمة، ويفتح عليها من كنوز الأرض، وأن ملك أمته سيبلغ مشارق الأرض ومغاربها، ففي الحديث عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – قال: "إن الله زوى لي الأرض، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإن أمَّتي سيبلغ ملكها ما زُوِيَ لي منها، وأُعطيتُ الكنزينِ الأحمر والأبيض"

وقال – صلّى الله عليه وسلم –: "وإني قد أُعطيتُ مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض".

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه؛ قال: بينما أنا عند النّبيّ – صلّى الله عليه وسلم –، إذ أتاه رجلٌ، فشكا إليه الفاقة، ثمّ أتاه آخر، فشكا إليه قطع السبيل، فقال: "يا عدي! هل رأيت الحيرة؟ ". قلتُ: لم أرها، وقد أُنبئتُ عنها. قال: "فإن طالت بك حياةٌ لَتَرَيَنَّ الظعينة ترتحل من الحيرة حتىَ تطوفَ بالكعبة لا تخاف أحدًا إلَّا الله". قلتُ فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَّار طيىء الذين قد سعروا البلاد؟! "ولئن طالت بك حياةٌ لَتُفْتَحَنَ كنوزُ كسرى". قلتُ: كسرى بن هرمز؟! قال: "كسرى بن هرمز. ولئن طالت بك حياة لترينَّ الرَّجل يُخْرِجُ ملءَ كفَّه من ذهب أوفضة؛ يطلب مَنْ يقبله منه؛ فلا يجد أحدًا يقبله منه ... ".

قال عدي: فرأيتُ الظعينة ترتحل من الحيرة حتّى تطوف بالكعبة، لا تخاف إلَّا الله، وكنتُ فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النّبيّ أبو القاسم – صلّى الله عليه وسلم –، يخرج ملء كفه

فقد تحقَّق كثيرٌ ممَّا أخبرنا به الصادق – صلّى الله عليه وسلم –، فكثُر المال في عهد الصّحابة رضي الله عنهم بسبب ما وقع من الفتوح، واقتسموا أموال الفرس والروم، ثمّ فاض المال في عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فكان الرَّجل يَعْرِض المال للصدقة، فلا يجد مَنْ يقبله.

وسيكثر المال في آخر الزّمان، حتّى يعرض الرَّجل ماله، فيقول الّذي يعرضه عليه: لا أرب لي به.

وهذا – والله أعلم – إشارةٌ إلى ما سيقع في زمن المهدي وعيسى عليه السّلام (١)؛ من كثرة الأموال، وإخراج الأرض لبركتها وكنوزها.

ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلم –: "تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة". قال: "فيجيء القاتل، فيقول: في هذا قَتَلْتُ. ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعتُ رحمي. ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعتُ يدي. ثمّ يَدَعونه فلا يأخذون منه شيئًا".

٦ – ظُهور الفتن:

الفتن: جمع فتنة، وهي الابتلاء والامتحان والاختبار، ثمّ كثُرَ استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثمّ أُطلِقت على كلّ مكروهٍ أو آيِلٍ إليه؛ كالإثم، والكفر، والقتل، والتَّحريق، وغير ذلك من الأمور المكروهة

وقد أخبر النّبيّ – صلّى الله عليه وسلم – أن من أشراط السّاعة ظهور الفتن العظيمة الّتي يلتبس فيها الحق بالباطل، فتزلزل الإيمان، حتّى يصبح الرَّجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، كلما ظهرت فتنةٌ؛ قال المؤمّن: هذه مُهْلِكَتي. ثمّ تنكشف، ويظهر غيرها، فيقول: هذه، هذه. ولا تزال الفتن تظهرُ في النَّاس إلى أن تقوم السّاعة.

ففي الحديث عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلم –: "إن بين يدي السّاعة فتنًا كقطع اللّيل المظلم، يصبح الرَّجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساير، فكسِّروا قسِّيكُم، وقطِّعوا أوتارَكُم، واضْرِبوا بسيوفِكُمُ الحِجارَةَ؛ فإن دُخِل على أحدِكُم؛ فليَكُنْ كخيرِ ابني آدم".

رواه الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم في "المستدرك"

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – قال: "بادِروا بالأعمال فتنًا كقطع اللّيل المظلم؛ يصبح الرَّجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يُمْسي مؤمنًا ويُصبحُ كافرًا، يبيع دينَه بعَرَضٍ مِن الدُّنيا"

وعن أم سلمة زوجِ النبيّ – صلّى الله عليه وسلم – رضي الله عنها، قالت: استيقظ رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – ليلةً فَزِعًا؛ يقول: "سبحان الله! ما أنزل الله من الخزائن؟ وماذا أنزل الله من الفتن؟ مَنْ يوقظ صواحب الحجرات – يريد أزواجه – لكي يُصلّين؟ ربَّ كاسية في الدُّنيا عارية في الآخرة". رواه البخاريّ

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: نادى منادي رسول الله – صلّى الله عليه وسلم –: الصّلاة جامعة. فاجتمعنا إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلم –، فقال:

"إنّه لم يكن نبيٌّ قبلي إلّا كان حقًّا عليه أن يدلُّ أمَّتَهُ على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرَّ ما يعلمه لهم، وإن أمَّتَكُم هذه جُعِل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاءٌ وأُمورٌ تُنْكِرونها، وتجيء الفتنة، فيرقِّق بعضها بعضًا، وتجيء الفتنة، فيقول المؤمّن: هذه، هذه ... فمَن أحبَّ أن يُزَحْزح عن النّار ويدخل الجنَّة؛ فلتأته منيَّتُه، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر". رواه مسلم

وأحاديث الفتن كثيرة جدًّا، فقد حذَّر النّبيّ – صلّى الله عليه وسلم – أمَّته من الفتن، وأمر بالتعوُّذ منها، وأخبر أن آخر هذه الأمة سيصيبها بلاءٌ وفِتَنٌ عظيمة، وليس هنالك عاصمٌ منها، إلّا الإيمان بالله واليوم الآخر، ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم، والابتعاد عن الفتن، والتعوُّذ منها، فقد قال عليه الصّلاة والسلام: "تعوَّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن". رواه مسلم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

***ظهور الفتن من المشرق:**

أكثر الفتن الّتي ظهرت في المسلمين كان منبعها من المشرق، من حيث يطلُعُ قرنُ الشيطان، وهذا مطابِقٌ لما أخبر به نبيُّ الرّحمة – صلّى الله عليه وسلم –.

فقد جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه سمع رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – وهو مستقبل المشرق يقول: "ألَا إن الفتنةَ هاهُنا، ألَا إن الفتنة ها هُنا، من حيث يطلُعُ قرنُ الشيطان" رواه الشيخان

وفي رواية لمسلم أنّه قال: "رأس الكفر من هاهُنا، من حيث يطلُعُ قرنُ الشيطان"؛ يعني: المشرق

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهُما؛ قال: دعا النبيُّ – صلّى الله عليه وسلم –: "اللَّهُمَّ بارِك لنا في صاعِنا ومُدِّنا، وبارك لنا في شامِنا ويمنِنا". فقال رجلٌ من القوم: يا نبي الله! وفي عراقنا. قال: "إن بها قَرن الشيطان، وتهيج الفتن، وإن الجفاء بالمشرق"

قال ابن حجر: "وأول الفتن كان منبعها من قِبَلِ المشرق، فكان ذلك سببًا للفرقة بين المسلمين، وذلك ممّا يحبُّه الشيطان ويفرحُ به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة" .

فمن العراق ظهر الخوارج، والشيعة، والروافض، والباطنية، والقَدَرية، والجهميَّة، والمعتزلة، وأكثر مقالات الكفر كان منشؤها من المشرق؛ من جهة الفرس المجوس؛ كالزردشتية ، والمانويّة ، والمزدكية، والهندوسية ، والبوذيَّة ، وأخيرًا وليس آخرًا: القاديانية ، والبهائية ... إلى غير ذلك من المذاهب الهدَّامة.

وأيضًا؛ فإن ظهور التتار في القرن السابع الهجري كان من المشرق، وقد حدث على أيديهم من الدَّمار والقتل والشرِّ العظيم ما هو مدوَّنٌ في كتب التاريخ.

وإلى اليوم لا يزال المشرق منبعًا للفتن والشرور والبدع والخرافات والإلحاد، وخروج الخوارج كداعش وتنظيم القاعدة وغيرها.

وفي آخر الزمان سيكون ظهور الدجَّال ويأجوج ومأجوج من جهة المشرق، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

٧ – ظهور مدَّعي النبوَّة:

ومن العلّامات الّتي ظهرت: خروج الكذَّابين الذين يدَّعون النبوَّة، وهم قريبٌ من ثلاثين كذَّابًا، وقد خرج بعضُهم في الزمن النبويَّ وفي عهد الصّحابة، ولا يزالون يظهرون.

وليس التحديد في الأحاديث مرادًا به كلّ من ادَّعى النبوَّة مطلقًا؛ فإنهم كثيرٌ لا يُحْصَوْنَ، وإنّما المراد مَنْ قامت له شوكة، وكَثُر أتباعه، واشتُهِرَ بين النَّاس

ففي "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ – صلّى الله عليه وسلم – قال: "لا تقوم السّاعة حتّى يبعث دجَّالون كذَّابون قريبٌ من ثلاثين؛ كلهم يزعم أنّه رسول الله"

وعن ثوبان رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلم –: "لا تقوم السّاعة حتّى تلحق قبائل من أمَّتي بالمشركين، وحتى يعبدوا الأوثان، وإنه سيكون في أمَّتي ثلاثون كذَّابون، كلهم يزعم أنّه نبيٌّ، وأنا خاتم النبيِّين، لا نبيَّ بعدي"

والأحاديث في ظهور هؤلاء الدَّجاجلة كثيرة، وفي بعضها وقع أنّهم ثلاثون بالجزم؛ كما في حديث ثوبان، وفي بعضها أنّهم قريبٌ من الثلاثين؛ كما في حديث "الصحيحين"، ولعلّ رواية ثوبان على طريقة جبر الكسر

وممَّن ظهر من هؤلاء الثلاثين مسيلمة الكذَّاب، فادَّعى النبوَّة في آخر زمن النّبيّ – صلّى الله عليه وسلم –، وكاتَبَهُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلم –، وسماه مسيلمة الكذاب، وقد كثر أتباعه، وعَظُم شرُه على المسلمين، حتّى قضى عليه الصّحابة في عهد أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، في معركة اليمامة المشهورة.

وظهر كذلك الأسود العَنَسي في اليمن، وادَّعى النبوَّة، فقتله الصّحابة قبل موت النّبيّ – صلّى الله عليه وسلم –.

وظهرت سَجاح، وادَّعت النبوة، وتزوَّجها مسيلمة، ثمّ لما قُتِل؛ رجعت إلى الإسلام.

وتنبأ أيضًا طليحة بن خويلد الأسدي، ثمّ تاب ورجع إلى الإسلام، وحسن إسلامه.

ثمّ ظهر المختار بن أبي عُبيد الثقفي، وأظهر محبَّة أهل البيت، والمطالبة بدم الحسين، وكَثُر أتباعه، فتغلَّب على الكوفة في أول خلافة ابن الزبير، ثمّ أغواه الشيطان، فادَّعى النبوَّة ونزول جبريل عليه — في ما قيل.

والذي يقَّوي أنّه من الدَّجالين ما رواه أبو داود بعد سياقه لحديث أبي هريرة الّذي في "الصحيحين" في ذكر الكذابين: "عن إبراهيم النخعي أنّه قال لعَبيدة السلماني : أترى هذا منهم– يعني: المختار–؟ قال: فقال عَبيدة: أمّا إنّه من الرؤوس"

ومنهم الحارث الكذَّاب، خرج في خلافة عبد الملك بن مروان، فقُتِل. وخرج في خلافة بني العباس جماعةٌ

وظهر في العصر الحديث ميرزا أحمد القادياني بالهند، وادَّعى النبوة، وأنّه المسيح المنتظر، وأن عيسى ليس بحيٍّ في السَّماء ... إلى غير ذلك من الادعاءات الباطلة، وصار له أتباعٌ وأنصارٌ، وانبرى له كثيرٌ من العلماء، فردُّوا عليه، وبيَّنوا أنّه أحد الدَّجالين.

ولا يزال خروج هؤلاء الكذابين واحدًا بعد الآخر، حتى يظهر آخرهم الأعور الدجَّال، فتنتهي به دعاواه الكاذبة إلى ادعاءالألوهية فقد روى الإمام أحمد عن سَمُرة بن جُنْدَب رضي الله عنه أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – قال في خطبته يوم كسفت الشّمس على عهده: "وإنه – والله– لا تقوم السّاعة حتّى يخرج ثلاثون كذَّابًا، آخرهم الأعور الكذَّاب"

ومن هؤلاء الكذَّابين أربع نسوة، فقد روى الإمام أحمد عن حذيفة رضي الله عنه أن نبي الله – صلّى الله عليه وسلم – قال: "في أمتي كذابون ودجَّالون سبعة وعشرون، منهم أربع نسوة، وإني خاتم النبيّين، لا نبيَّ بعدي"

٨ – انتشار الأمن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلم –: "لا تَقومُ الساعةُ حتّى يسيرَ الراكِبُ بينَ العراقِ ومكَّةَ، لا يخافُ إلَّا ضَلالَ الطَّريق"

وهذا قد وقع في زمن الصّحابة رضي الله عنهم، وذلك حينما عمَّ الإسلامُ والعدلُ البلادَ الّتي فتحها المسلمون.

ويؤّيدُهُ ما تقدَّم في حديث عديٍّ رضي الله عنه حين قال له النبيُّ – صلّى الله عليه وسلم –: "يا عَدِيُّ! هل رأيت الحيرة؟ ". قلتُ: لم أرها، وقد أُنْبِئْتُ عنها. قال: "فإن طالتْ بك حياةٌ لَتَرَيَنَّ الظعينة ترتحل من الحيرة حتّى تطوف بالكعبة؛ لا تخاف إلَّا الله ... "

وفي هذا العصر نجد البلاد السعودية المملكة العربية السعودية نموذجاً يحتذى به في تحقق الأمن وانتشاره؛ بفضل الله عز وجل ثم بفضل قيامها على التوحيد والسنة وتحكيمها لشرع الله منذ تأسست إلى يومنا هذا فالحمد لله على توفيقه.

وذلك تحقيق لوعد الله تعالى للموحدين بالنصر والأمن والتمكين، قال الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: ٥٥].

وسيكون انتشار الأمن أيضاً في آخر الزمان في زمن المهدي وعيسى –عليه السّلام– كما دلت على ذلك النصوص.

٩ – ظُهورُ نارِ الحجازِ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – قال: "لا تقومُ الساعةُ حتّى تخرجَ نارٌ من أرض الحجازة تُضيءُ أعناقَ الإبلِ ببصرى "

وقد ظهرت هذه النّار في منتصف القرن السابع الهجري في عام أربع وخمسين وست مئة، وكانت نارًا عظيمة، أفاض العلماء ممَّن عاصر ظهورها ومَن بعدَهم في وصفها.

قال النووي: "خرجتْ في زماننا نارٌ بالمدينة سنة أربع وخمسين وست مئة، وكانت نارًا عظيمة جدًّا، من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، وتواتَرَ العلم بها عند جميع الشّام وسائر البلدان، وأخبرني مَنْ حضرها من أهل المدينة"

ونقل ابن كثير أن غير واحدٍ من الإعراب ممَّن كان بحاضرة بصرى شاهدوا أعناقَ الإبل في ضوء هذه النّار الّتي ظهرت من أرض الحجاز

وذكر القرطبي ظهورَ هذه النّار، وأفاض في وصفها في كتابه "التذكرة" فذكر أنّها رُئِيت من مكّة ومن جبال بصرى.

وقال ابن حجر: "والذي ظهر لي أن النّار المذكورة ... هي الّتي ظهرتْ بنواحي المدينة؛ كما فهمه القرطبي وغيرُه"

ومن عاين مكان ظهور هذه النار في المدينة يرى أنها ظهرت على شكل بركان عظيم ثم ساحت صهارته فوق سطح الأرض لمسافات طويلة ثم تجمدت مكونة حرة شديدة السواد كأنما ثار البركان اليوم. فسبحان الله القادر ، وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم.

وهذه النّار ليست هي النّار الّتي تخرُجُ في آخر الزّمان، تحشُرُ النَّاس إلى محشَرِهم ؛ كما سيأتي في الكلام عليها في الأشراط الكبرى.

١٠ – ضِياعُ الأمانَة :

(الأمانة): ضد الخيانة، وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢)} [الأحزاب:٧٢].

وللعلّماء عدة أقوال في معناها، وهي ترجع إلى قسمين:

أ – التّوحيد: فإنّه أمانة عند العبد وخفي في القلب.

ب – العمل: ويدخل في جميع أنواع الشّريعة، وكلها أمانة عند العبد.

فالأمانة هي التكليف، وقبول الأوامر، وأجتناب النواهي.

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "إذا ضُيِّعَتِ الأمانة؛ فانتظر السّاعة". قال: كيف إضاعَتُها يا رسول الله؟ قال: "إذا أُسْنِد الأمر إلى غير أهله؛ فانتظر السّاعة"

وبيَّن النّبيّ صلّى الله عليه وسلم كيف تُرْفَعُ الأمانة من القلوب، وأنّه لا يبقى منها في القلب إلَّا أثرها.

روى حُذيفة رضي الله عنه؛ قال: حدَّثنا رسول الله _صلّى الله عليه وسلم- حديثين، رأيتُ إحداهما، وأنا أنتظر الآخر، حدَّثنا أن الأمانة نزلت في جذر قُلوب الرجال، ثمّ علموا من القرآن، ثمّ علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها؛ قال: "ينام الرَّجل النومة، فتُقْبَضُ الأمانة من قلبه، فيظلُّ أثرها مثل أثر الوكتِ ثمّ ينام النومة فتُقْبَضُ، فيبقى أثرها مثل المجل ؛ كجمرٍ دحرجته على رجلك، فنفط فتراه منتبرًا ، وليس فيه شيءٌ، فيصبح النَّاس يتبايعون، فلا يكاد أحدُهُم يؤدِّي الأمانة، فيقال: إن في بني فلانٍ رجلًا أمينًا، ويقال للرجل: ما أعقَلَهُ! وما أظرفَهُ! وما أجلَدَه! وما في قلبه مثقالُ حبَّة خردلٍ من إيمان، ولقد أتى عليَّ زمانٌ وما أبالي أيَّكُم بايعتُ، لئن كان مسلمًا؛ ردَّه الإسلام، وإن كان نصرانيًّا؛ ردَّه عليَّ ساعيه، فأمّا اليوم؛ فما كنتُ أُبايِعُ إلَّا فلانًا وفلانًا" .

ففي هذا الحديث بيانُ أن الأمانة ستَرفع من القلوب، حتّى يصير الرَّجل خائنًا بعد أن كان أمينًا، وهذا إنّما يقعُ لمن ذهبتْ خشيتُه لله، وضعُفَ إيمانُه، وخالَطَ أهلَ الخيانَةِ، فيصيرُ خائنًا؛ لأنّ القرين يقتدي بقرينه.

وقد أخبر – صلّى الله عليه وسلم – في أحاديث كثيرة أنّه ستكون هناك سنين خدَّاعة؛ تنعكس فيها الأمور؛ يُكَذَّب فيها الصادق، ويُصَدَّق فيها الكاذب، ويخوَّن الأمين، ويؤتمن الخائن.

هذه بعض الأمثلة على أشراط الساعة الصغرى.

***ثانياً: أشراط الساعة الكبرى[١]:**

وهي الأمور العظام الّتي تظهر قرب قيام السّاعة، وتكون غير معتادة الوقوع؛ كظهور الدجَّال، ونزول عيسى -عليه السّلام-، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشّمس من مغربها.

روى الإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه؛ قال: اطَّلع النبيُّ - صلّى الله عليه وسلم - علينا ونحن نتذاكر، فقال: "ما تذاكرون"؟ قالوا: نذكر السّاعة. قال: "إنها لن تقومَ حتّى ترونَ قبلها عشر آيات"، فذكر: الدُّخان، والدَّجَّال، والدَّابَّة، وطلوع الشّمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم - صلّى الله عليه وسلم -، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد النَّاس إلى محشرهم".

فهذا الحديث تضمن ذكر عشرة أشراط عظام، وذكرنا سابقاً أنه يمكن جعله ضابطاً للأشراط الكبرى.

وسنقتصر هنا على ذكرها مع التعريف بها باختصار:

١- ظهور المسيح الدجال:

وهو رجل من بني آدم يخرج في آخر الزمان فيفتن به كثير من الخلق، يجري الله على يديه بعض الأعمال الخارقة، ويدعي الربوبية ولا يروج باطله على المؤمن ويدخل الأمصار كلها إلا مكة والمدينة، ومعه نار وجنة فناره جنة وجنته نار. وقد دلت الأحاديث الصحيحة على خروجه، منها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي أخرجه مسلم في صحيحه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: «يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه» . . .) [٢] الحديث.

---

(١) ملخصة من أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لمجموعة من العلماء.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٤٠) .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال: قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: «إني أنذركموه وما من نبي إلا قد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكن سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور»(١) .

٢- نزول عيسى ابن مريم عليه السلام :

ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان من السماء إلى الأرض حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقضي على الدجال.

كما دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة. أما الكتاب فيقول الله تعالى: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ} [الزخرف: ٦١] (الزخرف: ٦١) ، وقد استدل بهذه الآية على نزول عيسى كثير من المفسرين وينقل هذا عن ابن عباس على ما أخرج أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية قال: «هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة»(٢).

كما دلت على نزول عيسى عليه السلام الأحاديث الصحيحة: ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها»(٣).

٣-خروج يأجوج ومأجوج:

وهم خلق كثير لا قوة لأحد على قتالهم.

وقد دل على خروجهم الكتاب والسنة. قال تعالى: {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ - وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا}

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٠٥٧) ، وصحيح مسلم برقم (١٦٩) ، واللفظ للبخاري.

(٢) المسند: ١ / ٣١٨.

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٢٢٢) ، وصحيح مسلم برقم (١٥٥) ، واللفظ لمسلم.

[الأنبياء: ٩٦ – ٩٧] (الأنبياء: ٩٦، ٩٧) . وأخرج الشيخان عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم دخل عليها يوما فزعا يقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه " وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها» . . ")[١] الحديث.

٤– طلوع الشمس من مغربها:

وقد دلت على هذه الآية النصوص من الكتاب والسنة. قال تعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام: ١٥٨] (الأنعام: ١٥٨) .

فقد ذهب جمع من المفسرين إلى أن بعض آيات ربك، هي طلوع الشمس من مغربها. قال الطبري بعد ذكره أقوال المفسرين في الآية: (وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم أنه قال ذلك حين تطلع الشمس من مغربها) [٢].

وروى الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا»[٣].

٥–خروج الدابة:

وهي مخلوق عظيم ، لم يثبت في تفاصيل خلقها خبر يعول عليه.

وقد دل الكتاب والسنة على خروجها قبل قيام الساعة. قال تعالى: {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ} [النمل: ٨٢] (النمل: ٨٢) . وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم:

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٣٤٦) ، وصحيح مسلم برقم (٢٨٨٠) .

(٢) تفسير ابن جرير ج٨ / ٩٧.

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٦٣٦) ، وصحيح مسلم برقم (١٥٧) .

(ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض)[١].

وأخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم قال: «تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يغمرون فيكم حتى يشتري الرجل البعير فيقول ممن اشتريته فيقول: من أحد المخطمين»[٢] وقد صحح سند الحديث الهيثمي وغيره من المحدثين.

٦- الدخان:

وهو انبعاث دخان عظيم من السماء يغشى الناس ويعمهم، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة. قال تعالى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ - يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الدخان: ١٠ - ١١] (الدخان: ١٠، ١١) .

ومن السنة حديث حذيفة بن أسيد المتقدم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم أنه قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة»[٣] الحديث.

٧-٩/ الخسوفات الثلاثة:

من العلامات الكبرى التي أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بحدوثها في آخر الزمان الخسوفات الثلاثة، وقد دلت على هذا حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه - وقد سبق ذكره - وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، وذكر منها ثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب» .

ومنها حديث أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول: «سيكون بعدي خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب "، قلت: يا

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٥٨) .

(٢) المسند: ٥ / ٢٦٨.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١) .

رسول الله أيخسف بالأرض وفيها الصالحون؟ قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا أكثر أهلها الخبث» .

فهذه الخسوفات الثلاثة من الأشراط الكبرى التي لا تظهر إلا في آخر الزمان، وهي غير الخسوفات التي وقعت في الماضي وفي أماكن متعددة؛ لأن هذه من أشراط الساعة الصغرى، أما هذه الخسوفات الثلاثة فهي خسوفات عظيمة.

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: " وقد وجد الخسف في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدرا زائدا على ما وجد، كأن يكون أعظم منه مكانا أو قدرا ".

١٠– خروج نار عظيمة تخرج من عدن تحشر الناس إلى محشرهم:

وهي آخر العلامات العظام. وقد دلت على هذه العلامة السنة كما جاء في حديث حذيفة بن أسيد المتقدم والذي أخرجه مسلم وفيه: «وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[١]. وفي رواية من حديث حذيفة «ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس» .
فهذه الأمارات أعظم أشراط الساعة التي تقع قبل قيامها فإذا انقضت قامت الساعة بإذن الله تعالى وقد ورد أن هذه الأمارات متتابعة كتتابع الخرز في النظام فإذا ظهرت إحداها تبعتها الأخرى. روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم قال: «خروج الآيات بعضها على إثر بعض، يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام»[٢].

***ضوابط تنزيل ما أخبر به النبي ﷺ من أشراط الساعة على الواقع:**

الأصل في هذا الباب: الاحتياط التام في تفسير أشراط الساعة وعدم تنزيلها على الواقع إلا ببينة ظاهرة.

وكثير من أشراط الساعة لا تتبين حقائقها إلا بعد وقوعها– ولا سيما ما يتعلق بالفتن.

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١) .

(٢) المعجم الأوسط (٤/ ٣٠٤) برقم (٤٢٧١)، وصححه الألباني بشواهده. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ٦٣٧) برقم (٣٢١٠).

وقد جاء عن بعض السلف –منهم قتادة والحسن– : إن الفتن إذا أقبلت لم يعرفها إلا العلماء، فإذا أدبرت عرفها كل أحد. أي أن الفتن عند إقبالها وحدوثها يفتتن بها الناس ويلتبس عليهم أمرها فلا يعرفها إلا العلماء، لكنها إذا انجلت وانكشفت وتحققت ظهرت حقيقتها للعالم والجاهل. والموفق من عصمه الله من الفتن مقبلة ومدبرة.

وقد ذكر أهل العلم لتنزيل نصوص أشراط الساعة على الواقع عدة ضوابط منها:

١– الاقتصار في تفسير نصوص أشراط الساعة وتنزيلها على نصوص الوحيين، والتأكد من صحتها لفظًا ومعنى.

٢– أن يكون التنزيل بعيدًا عن التكلُّف.

٣– التحقق من طبيعة الواقعة واستكمالها للأوصاف الواردة في النصّ.

٤– فهم نصوص أشراط الساعة بفهم السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان من العلماء المعاصرين.

٥– التأني في تنزيل أشراط الساعة على الواقع ومراجعة أهل العلم في التأويل والتنزيل.

قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: ٥٩].

***نهاية الدنيا، وقيام الساعة:**

إذا اكتمل ظهور العلامات الصغرى ثم الكبرى فإن ذلك مؤذن بانتهاء الدنيا وقرب قيام الساعة. قال الله تعالى بعد ذكر خبر يأجوج ومأجوج: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)}وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا} [الكهف: ٩٩].

وقال تعالى: {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ} [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

فهذه الآيات تدل على القرب الشديد بين خروج يأجوج ومأجوج وبين قيام الساعة .

ويكون ابتداء نهاية الدنيا بالنفخ في الصور النفخة الأولى.

ويكون قيام الساعة ببعث الناس بالنفخة الثانية ثم جمعهم وحشرهم كما قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر: ٦٨]. كما سيأتي تفصيل ذلك عن دراسة النفخ في الصور.

***المخالفون لأهل السنة في أشراط الساعة:**

قال الخطابي – رحمه الله –: " هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى، من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا، والخصب معه، وجنته وناره ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره ويقتله عيسى صلى الله عليه وسلم ويثبت الله الذين آمنوا. هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار، خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للبخاري المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود، ولكن الذي يدعي مخارق وخيالات لا حقائق لها. وزعموا أنه لو كان حقًّا لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلى الله عليه وسلم ، وهذا غلط من جميعهم؛ لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعي الإلهية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله، ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذي في عينيه، وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه، ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق أو تقية وخوفا من أذاه؛ لأن فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الألباب مع سرعة مروره في الأرض فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله، ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله. وأما أهل التوفيق فلا يغترون ولا يخدعون بما معه لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله، ولهذا يقول الذي يقتله ثم يحييه: ما ازددت فيك إلا بصيرة " .

قال ابن كثير – رحمه الله : (وقد تقدم في حديث حذيفة وغيره أن ماءه نار، وناره ماء بارد، وإنما ذلك في رأي العين. وقد تمسك بهذا الحديث طائفة من العلماء، كابن حزم والطحاوي وغيرهما في أن الدجال ممخرق مموه، لا حقيقة لما يبدي للناس من الأمور التي تشاهد في زمانه، بل كلها خيالات عند هؤلاء. وقال الشيخ أبو علي الجبائي شيخ المعتزلة: لا يجوز أن يكون لذلك حقيقة; لئلا يشتبه خارق الساحر بخارق النبي. وقد أجابه القاضي عياض وغيره بأن الدجال إنما يدعي الإلهية، وذلك مناف لبشريته، فلا يمتنع إجراء الخارق على يديه، والحالة هذه.

وقد أنكرت طوائف كثيرة من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة خروج الدجال بالكلية، وردوا الأحاديث الواردة فيه، فلم يصنعوا شيئا، وخرجوا بذلك عن حيز العلماء; لردهم ما تواترت به الأخبار الصحيحة من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم ذلك. وإنما أوردنا بعض ما ورد في هذا الباب، وفيه كفاية ومقنع، وبالله المستعان.

والذي يظهر من الأحاديث المتقدمة أن الدجال يمتحن الله به عباده بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه، كما تقدم أن من استجاب له يأمر السماء فتمطرهم، والأرض فتنبت لهم زرعا تأكل منه أنعامهم، وأنفسهم وترجع إليهم مواشيهم سمانا لبنا، ومن لا يستجيب له ويرد عليه أمره تصيبهم السنة والجدب والقحط والغلة وموت الأنعام ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وأنه يتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل، وأنه يقتل ذلك الشاب ثم يحييه، وهذا كله ليس بمخرقة، بل له حقيقة امتحن الله بها عباده في ذلك الزمان، فيضل به كثيرا، ويهدي به كثيرا، يكفر المرتابون، ويزداد الذين آمنوا إيمانا).

***ثمرات الإيمان بأشراط الساعة:**

١- تحقيق ركن من أركان الإيمان الستة، وهو الإيمان باليوم الآخر، باعتبار أن أشراط الساعة من مقدماته.

٢- التأكيد على الإيمان بالغيب؛ فأشراط الساعة قبل وقوعها من الغيب الذي يجب الإيمان به وتصديق الأخبار الثابتة فيه.

٣- الدلالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم؛ فتحقق أشراط الساعة من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم.

٤- معرفة التعامل الشرعي الصحيح مع بعض الأشراط المستقبلة التي تستدعي ذلك ككيفية التعامل مع جبل الفرات الذهبي ، والتعامل مع الدجال ، والتعامل عند حدوث الفتن.

٥- زيادة الطمأنينة للمؤمنين وتثبيتهم كما في الأحاديث المبشرة باستمرار الطائفة المنصورة وحكم المهدي وعيسى عليه السلام في آخر الزمان وما يتم في ذلك الزمن من فتوحات ونصر للإسلام وأهله وأمن وأمان وطيب حياة ورغد عيش.

٦- ظهور بعض الأحكام المستفادة من أحاديث أشراط الساعة وبعضها مما يحتاجه أهل ذلك الزمان وبعضها مما تحتاجه الأمة قبل ذلك. كمسألة ضبط أوقات الصلاة أيام الدجال: (اقدروا لها قدرها)، وحاجة الأمة اليوم إليها في البلدان التي يتطاول فيها النهار جدا في بعض الأوقات حتى يصل في بعضها النهار مستمراً – بلا ليل- إلى ستة أشهر، وبعضها أقل من ذلك. والله أعلم.

ثالثا: أحكام الموت والبرزخ[١]:

أ- الاحتضار:

تعريف الاحتضار لغة:

الحاء والضاد والراء: أصل يدل على إيراد الشيء، وورود ومشاهدته، ....وحُضِرَ المريض واحْتُضِرَ؛ إذا نزل به الموت.[٢]

تعريف الاحتضار شرعاً:

الاحتضار: هو حضور الموت، ونزوله بالعبد[١].

---

(١) من هنا إلى نهاية المذكرة أغلبه مستل من "الموسوعة العقدية" من إصدارات جمعية عقيدة-، وقليل منه من: "الموسوعة العقدية" من إصدار موقع الدرر السنية_ مع إضافة وزيادات في بعض المفردات.

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٦٠/٢) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (١٩٦/٤) [دار صادر، ط٣].

وهو الساعة التي يكون فيها العبد في إقبال من الآخرة وإدبار من الدنيا، وهو وقت حضور الموت، وقرب مفارقة الروح البدن.

وهو أحد مفردات الإيمان باليوم الآخر، التي تسبق الموت، وفيه تكون السكرات، والبشارات، وحضور الملائكة الموكلة باستلام الروح قبل قبضها.

وقد دلَّت السُّنَّة على ذلك، كما سيأتي في الأدلة.

أدلة الاحتضار: أما من القرآن؛ فقول الله تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ *لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *} [المؤمنون] .

وقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ *وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ *وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *} [المنافقون] .

وقوله عزّ وجل: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ *} [فصلت] ، وهذا عند الاحتضار، كما ذكر جمع من المفسرين[٢]..

وقوله سبحانه وتعالى يصف حال المشركين عند اقتراب الموت: {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلاَئِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا *} [الفرقان] .

ومن السُّنَّة: قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: «من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» ، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا نبي الله أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت، فقال: «ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء

---

(١) انظر: أحوال المحتضر_ دراسة عقدية لمحمد العلي (٧١) [بحث محكم منشور ضمن مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة، عدد ١٢٤، سنة ١٤٢٤هـ].

(٢) تفسير ابن كثير (٢٨٤/١)، وتفسير السعدي (٧٤٨).

الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه»[١] ، وفي الحديث الصحيح: «وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»[٢].

وفتنة الموت: فتنة الاحتضار أو القبر، وأضيفت إلى الموت؛ لقربها منه[٣].

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يكثر أن يقول: «اللَّهُمَّ ثبِّت قلبي على دينك»، فقال رجل: يا رسول الله تخاف علينا وقد آمنا بك وصدقناك بما جئت به!؟ فقال: «إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن عزّ وجل يقلبها»[٤].

وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر... وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر»[٥].

علامات الاحتضار:

ليس هناك دليل شرعي يبين علامات الاحتضار في ما أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٧)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٣٢)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٨٩).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٨٥/٥) [دار إحياء التراث العربي، ط٢]، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (١١٧/٦) [دار إحياء التراث العربي].

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب القدر، رقم ٢١٤٠) وحسَّنه، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٣٤) واللفظ له، وأحمد (١٦٠/١٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٢٧) وصححه، وصححه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (٣٧/١) [المكتب الإسلامي، ط٣].

(٥) أخرجه أحمد (٤٩٩/٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والبيهقي في الشعب (٦١٠/١) [مكتبة الرشد، ط١]، وغيرهما من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، قال البيهقي: هذا حديث صحيح الإسناد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٤/١).

وقد ذكر بعض الفقهاء أن من علامة الاحتضار أن تسترخي قدماه فلا تنتصبان، ويعوج أنفه، وينخسف صدغاه...، وتمتد جلدة وجهه فلا يرى فيها تعطف[١].

كما يذكر بعضهم للاحتضار علامات تظهر على كثير مِن المحتضرين ومَن نزل بهم الموت، مما عرف بالحسّ والمشاهدة والتتبع لكثير من المحْتَضِرِين، من نحو: بُرودة الأطراف والقدمين، وعرق الجبين للمؤمن، والهذيان والهلع والإغماء عند البعض منهم، والحشرجة التي تكون في الصدر، والغرغرة في الحلق، والنشاط والخفة، فبعض المحْتَضِرِين يجد قبل موته خفّة ونشاطًا لم يُعهدا عليه من قبل، كأن يكون مريضًا ومغمًى عليه مدة طويلة، ثمّ قبل وفاته يستيقظ من إغمائه وكأنه صحيح معافى، ويجد هذا النشاط. وهذا ليس على الإطلاق.

أقسام الناس عند الاحتضار وتمايزهم في قبض الروح وخروجها:

جاء تقسيم الناس عند الاحتضار في آخر سورة الواقعة إلى ثلاثة أقسام: مقربين، وأصحاب يمين، ومكذبين ضالين، قال تعالى: {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ *فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ *وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ *فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ *وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّآلِّينَ *فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ *} [الواقعة] .

قال السعدي: «ذكر الله تعالى أحوال الطوائف الثلاث: المقربين، وأصحاب اليمين، والمكذبين الضالين في أول السورة في دار القرار، ثم ذكر أحوالهم في آخرها، عند الاحتضار والموت»[٢]، ثم ساق الآيات بتفسيرها.

وعليه؛ فيختلف قبض الأرواح وانتزاعها، وكيفية خروجها، وما ينالها بعد ذلك من شخص لآخر.

قال صلّى الله عليه وسلّم: «نفس المؤمن تخرج رشحًا، ونفس الكافر تخرج من شدقه كما تخرج نفس الحمار»[١].

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (١٦/ ٥).

(٢) تفسير السعدي (٨٣٦).

وقد جاءت السُّنَّة بالتفريق بين نزع روح المؤمن وروح الكافر وما يعقب ذلك، كما في قوله صلّى الله عليه وسلّم: «... إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء... وإن العبد الكافر، إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول...» [٢].

حكم توبة المحتضر:

تقبل توبة المحتضر ما لم يغرغر؛ لقوله تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا *} [النساء] . والتوبة من قريب هي التوبة قبل حضور الموت؛ أي: قبل الغرغرة[٣].

ويمكن القول: إن الغرغرة تكون آخر وقت الاحتضار بعد رؤية الملك وانتزاعه الروح، وفي الحديث: «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[٤]. أي: ما لم تبلغ روحه حلقومه[١].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣٣/١٠) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وحسّنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٣/٢) [مكتبة القدسي]، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٤/٥).

(٢) أخرجه أحمد (٤٩٩/٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والبيهقي في الشعب (٦١٠/١) [مكتبة الرشد، ط١]، وغيرهما من حديث البراء بن عازب، قال البيهقي: هذا حديث صحيح الإسناد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٤/١).

(٣) انظر: روح البيان (١٤٣/٢) [دار إحياء التراث العربي].

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٣٧) وحسَّنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٥٣)، وأحمد (١٣٢/٢) [عالم الكتب، ط١]، وابن حبان (كتاب الرقاق، رقم ٦٢٨)، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٦/١) [المكتب الإسلامي].

ويدل على قبول التوبة حال الاحتضار وقبل المعاينة والنزع: ما ثبت في «الصحيحين» من دعوة النبي صلّى الله عليه وسلّم عمه أبا طالب إلى التوحيد وهو في حال الاحتضار[٢]. قال ابن مفلح مفسرًا لحضور الوفاة: «المراد قربت وفاته وحضرت دلائلها، وذلك قبل المعاينة والنزع، ولو كان في حال المعاينة والنزع لما نفعه الإيمان؛ لقوله تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ} [النساء: ١٨] ، ويدل على أنه قبل المعاينة محاورته للنبي صلّى الله عليه وسلّم مع كفار قريش»[٣].

ولما ثبت في «الصحيحين» من دعوته صلّى الله عليه وسلّم للغلام اليهودي -الذي عاده في مرض موته- إلى التوحيد[٤]، فأسلم ومات عليه، فكان من الناجين، ومن الصحابة المرضيين.

ومما يستدل به في هذا الباب: «أن من قربت نفسه من الزهوق فمات له ميت أنه يرثه، وإن قدر على النطق فأسلم، فإنه مسلم يرثه المسلمون من أهله، وأنه إن شخص ولم يكن بينه وبين الموت إلا نفس واحد فمات من أوصى له بوصية فإنه قد استحقها، فمن قتله في تلك الحال قِيد به»[٥]، بخلاف ما إذا بلغت الروح الحلقوم، فإنه «لا تصح وصيته ولا صدقته ولا شيء من تصرفاته باتفاق الفقهاء»[٦].

أما ساعة معاينة ملك الموت ونزع الروح فإن التوبة لا تقبل؛ للحديث المتقدم في الغرغرة، ولقوله تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ} [النساء: ١٨] ، فهذا هو المعاين الذي لا تقبل توبته؛ كتوبة فرعون لما رأى الملائكة وأدركه الغرق قال: {آمَنْتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٦٦٥/٣) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٤).

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٦٢/١) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٧هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٦).

(٥) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٦٢/١) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٧هـ].

(٦) المصدر السابق.

الْمُسْلِمِينَ *} [يونس] ، فكان الجواب: {آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ *} [يونس] .

قال القرطبي: «التوبة مبسوطة للعبد حتى يعاين قابض الأرواح، وذلك عند غرغرته بالروح، وإنما يغرغر به إذا قطع الوتين، فشخص من الصدر إلى الحلقوم، فعندها المعاينة، وعندها حضور الموت... فيجب على الإنسان أن يتوب قبل المعاينة والغرغرة، وهو معنى قوله تعالى: {ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} [النساء: ١٧] »[١].

عرض الإسلام على المحتضر:

لا بأس بعرض الإسلام على المحتضر الكافر بل هو مشروع:

فعن سعيد بن المسيب، عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلّى الله عليه وسلّم وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «أي عم، قل: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» ، فنزلت: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ *} [التوبة][٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صلّى الله عليه وسلّم فمرض، فأتاه النبي صلّى الله عليه وسلّم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم صلّى الله عليه وسلّم، فأسلم، فخرج النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»[٣].

كما أنه لا بأس أن يُلَقَّن الميتُ المسلمُ الشهادةَ كما سيأتي في "التلقين".

---

(١) التذكرة للقرطبي (٥٢/١) [دار قباء].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٣٩٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٦).

ب- التلقين:

المراد بالتلقين: تذكير المحتضر بقول: (لا إله إلا الله)؛ لتكون آخر كلامه من الدنيا[١].

صفة التلقين، والرد على المخالفين فيه:

صفة التلقين: أن تذكر الشهادة عند المحتضر؛ ليسمعها فيقولها، فإن قالها وإلا قيل له أمرًا برفق: قل (لا إله إلا الله)؛ لتكون آخر ما يتكلم به من الدنيا، فيناله فضلها.

واختلف في صفة التلقين ، فذهب جماعة إلى تذكير المحتضر بكلمة الإخلاص دون أمره بها، وذهب جماعة إلى الأمر، وتوسط قوم ففصلوا في المسألة.

قال التبريزي: «والتلقين أن يذكره عنده، ويقوله بحضرته ويتلفظ به عنده حتى يسمع؛ ليتفطن فيقوله، لا أن يأمره به، ويقول: قل لا إله إلا الله، إلا أن يكون كافرًا، فيقول له: قل، كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعمه أبي طالب وللغلام اليهودي»[٢].

وذهب الألباني إلى أن المراد بالتلقين الأمر لا مجرد ذكر الشهادة عند المحتضر، فقال: «وليس التلقين ذكر الشهادة بحضرة الميت وتسميعها إياه؛ بل هو أمره بأن يقولها خلافًا لما يظن البعض، والدليل حديث أنس رضي الله عنه: «أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عاد رجلاً من الأنصار، فقال: يا خال! قل: لا إله إلا الله، فقال: أخال أم عم؟ فقال: بل خال، فقال: فخير لي أن أقول: لا إله إلا الله؟ فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: نعم»[٣]».

وذهب العثيمين إلى التفصيل في المسألة بناء على حال المحتضر، فقال: «وهل يقولها بلفظ الأمر، فيقول: قل: (لا إله إلا الله)، أو يقولها بدون لفظ الأمر، بأن يذكر الله عنده حتى

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٢٧/١).

(٢) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢٠٨/٥)، وانظر: الفتاوى الهندية (١٥٧/١) [المكتبة الشاملة، نسخة إلكترونية].

(٣)أخرجه أحمد (١٨/٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والبزار (٣٥٢/١٣) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، وقال الضياء في المختارة (٣٦/٥): إسناده صحيح، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (١١) [المكتب الإسلامي، ط٤].

يسمعه؟ فالجواب: ينبغي في هذا أن ينظر إلى حال المريض، فإن كان المريض قويًّا يتحمل، أو كان كافرًا فإنه يؤمر، فيقال: قل: (لا إله إلا الله)، اختم حياتك بلا إله إلا الله، وما أشبه ذلك.

وإن كان مسلمًا ضعيفًا فإنه لا يؤمر، وإنما يذكر الله عنده حتى يسمع فيتذكر، وهذا التفصيل مأخوذ من الأثر والنظر.

أما الأثر: فلأن النبي صلّى الله عليه وسلّم أمر عمه أبا طالب عند وفاته أن يقول: لا إله إلا الله، قال: «يا عم قل: لا إله إلا الله»[١].

وأما النظر: فلأنه إن قالها فهو خير، وإن لم يقلها فهو كافر، فلو فرض أنه ضاق صدره بهذا الأمر ولم يقلها فهو باق على حاله لم يؤثر عليه شيئًا، وكذا إذا كان مسلمًا وهو ممن يتحمل فإن أمرناه بها لا يؤثر عليه، وإن كان ضعيفًا فإن أمرناه بها ربما يحصل به رد فعل بحيث يضيق صدره، ويغضب فينكر وهو في حال فراق الدنيا، فبعض الناس في حال الصحة إذا قلت له قل: لا إله إلا الله، قال: لن أقول: لا إله إلا الله، فعند الغضب يغضب بعض الناس حتى ينسى، فيقول: لا أقول: لا إله إلا الله، فما بالك بهذه الحال؟»[٢].

وهذا التفصيل هو أعدل الأقوال فيما يظهر، والعلم عند الله.

أدلة مشروعية التلقين عند الاحتضار:

دلت الأدلة من السنة والإجماع المعتبر على مشروعية التلقين عند الاحتضار:

فمن أدلة السنة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لقِّنوا موتاكم: لا إله إلا الله»[٣].

---

(١)أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٤).

(٢)الشرح الممتع (٢٤٧/٥) [دار ابن الجوزي، ط١].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩١٦).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لقِّنوا هلكاكم قول: لا إله إلا الله»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لقِّنوا موتاكم لا إله إلا الله، فإنه من كان آخر كلمته: لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة يومًا من الدهر، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه»[٢].

وأجمع العلماء على مشروعيته:

قال القرطبي رحمه الله في المفهم: «قوله صلّى الله عليه وسلّم: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» ؛ أي: قولوا لهم ذلك، وذكِّروهم به عند الموت، وسمّاهم موتى؛ لأن الموت قد حضرهم.

وتلقين الموتى هذه الكلمة سُنَّة مأثورة عَمِلَ بها المسلمون، وذلك ليكون آخر كلامه: لا إله إلا الله، فيختم له بالسعادة، وليدخل في عموم قوله صلّى الله عليه وسلّم: «من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله؛ دخل الجنة»[٣]»[٤].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وقد ثبت أن النبي صلّى الله عليه وسلّم أمر بتلقين لا إله إلا الله وقال: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا دخل الله الجنة»»[٥].

قال ابن القيم: «لشهادة أن لا إله إلا الله عند الموت تأثير عظيم في تكفير السيئات وإحباطها؛ لأنها شهادة من عبد موقن بها، عارف بمضمونها... لقي ربه بشهادة صادقة خالصة، وافق ظاهرها باطنها، وسرها علانيتها، فلو حصلت له الشهادة على هذا الوجه في

---

(١)أخرجه النسائي (كتاب الجنائز، رقم ١٨٢٧)، وصححه الألباني في نفس الموضع، وفي الإرواء (رقم ٦٨٦).

(٢)أخرجه ابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣٠٠٤)، وأصله عند مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩١٧)، دون قوله: «فإن من كان آخر كلمته...».

(٣)أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٦)، وأحمد (٣٦٣/٣٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٢٩٩) وصححه، وصححه الألباني في الإرواء (رقم ٦٨٧).

(٤)المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٤٧/٨) [دار ابن كثير، ط١، ١٤٠٧هـ].

(٥) مجموع الفتاوى (٢٢٧/١٠).

أيام الصحة لاستوحش من الدنيا وأهلها، وفر إلى الله من الناس، وأنس به دون ما سواه، لكنه شهد بها بقلب مشحون بالشهوات وحب الحياة وأسبابها، ونفس مملوءة بطلب الحظوظ والالتفات إلى غير الله، فلو تجردت كتجردها عند الموت لكان لها نبأ آخر وعيش آخر سوى عيشها البهيمي»[١].

حكم تلقين الميت بعد دفنه:

ذهب قوم إلى تلقين الميت بعد الدفن، مستدلِّين بأحاديث لا تصح، من نحو حديث أبي أُمامة في التلقين بعد الدفن ونصه عن جابر بن سعيد الأزدي قال: دخلت على أبي أُمامة وهو في النزع فقال لي: يا أبا سعيد إذا أنا مت فاصنعوا بي كما أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يصنع بموتانا فإنه قال: «إذا مات الرجل منكم فدفنتموه، فليقم أحدكم عند رأسه، فليقل: يا فلان ابن فلانة! فإنه يستوي قاعدًا، فليقل: يا فلان ابن فلانة! فإنه سيقول: أرشدني رحمك الله، فليقل: اذكر ما خرجت عليه من دار الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، فإن منكرًا ونكيرًا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه، ويقول له: ما نصنع عند رجل لقن حجته؟ فيكون الله حجيجهما دونه»[٢].

وقد ذكر ابن تيمية أن تلقين الميت بعد الدفن لم يكن من عمل المسلمين المشهور بينهم على عهد النبي صلّى الله عليه وسلّم وخلفائه[٣].

---

(١)الفوائد (٥٥) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٣٩٣هـ].

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٩٨/٨) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٦٤/٢) [دار المعارف، ط١، ١٤١٢هـ]، وقال: «منكر»، وعزاه إلى القاضي الخلعي، وذكر طائفة ممن ضعفه من أهل العلم، أمثال: الدارقطني، والبيهقي، والهيثمي، والنووي، وابن الصلاح، والحافظ العراقي، وابن القيم، ثم عقب بقوله: «واعلم أنه ليس للحديث ما يشهد له، وكل ما ذكره البعض إنما هو أثر موقوف على بعض التابعين الشاميين لا يصلح شاهدًا للمرفوع؛ بل هو يعله، وينزل به من الرفع إلى الوقف. وجملة القول: أن الحديث منكر عندي إن لم يكن موضوعًا».

(٣)الفتاوى الكبرى (٢٥/٣) [دار الكتب العلمية، ط١].

وبيَّن ابن القيم أن التلقين بعد الموت خلاف سُنَّة النبي صلّى الله عليه وسلّم: «ولم يكن يجلس يقرأ عند القبر، ولا يلقن الميت كما يفعله الناس اليوم»[١].

وذكر بعض أهل العلم أن التلقين بعد الدفن لم يرد فيه عن أحمد شيء، ولا يعلم فيه للأئمة قول، سوى ما رواه الأثرم عن الإمام أحمد، قال: «قلت لأبي عبد الله: فهذا الذي يصنعون إذا دفن الميت يقف الرجل ويقول: يا فلان بن فلان! اذكر ما فارقت عليه: شهادة أن لا إله إلا الله، فقال: ما رأيت أحدًا فعل هذا إلا أهل الشام، حين مات أبو مغيرة جاء إنسان فقال ذاك، قال: وكان أبو المغيرة يروي فيه عن أبي بكر بن أبي مريم عن أشياخهم أنهم كانوا يفعلونه، وكان ابن عياش يرويه، ثم قال فيه: إنما لأثبت عذاب القبر، فذكر علة فعله»[٢].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ما نصه: «الصحيح من قول العلماء في التلقين بعد الموت أنه غير مشروع؛ بل بدعة، وكل بدعة ضلالة، وما رواه الطبراني في الكبير عن سعيد بن عبد الله الأودي عن أبي أُمامة في تلقين الميت بعد دفنه ذكره الهيثمي في الجزء الثاني والثالث من مجمع الزوائد، وقال: في إسناده جماعة لم أعرفهم.اهـ.

وعلى هذا لا يحتج به على جواز تلقين الميت، فهو بدعة مردودة بقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» .

وليس مذهب إمام من الأئمة الأربعة ونحوهم كالشافعي حجة في إثبات حكم شرعي؛ بل الحجة في كتاب الله وما صح من سُنَّة النبي صلّى الله عليه وسلّم في إجماع الأمة، ولم يثبت في التلقين بعد الموت شيء من ذلك فكان مردودًا.

أما تلقين من حضرته الوفاة كلمة: (لا إله إلا الله) ليقولها وراء من لقنه إياها فمشروع؛ ليكون آخر قوله في حياته كلمة التوحيد، وقد فعل ذلك النبي صلّى الله عليه وسلّم مع عمه أبي طالب، لكنه لم يستجب له؛ بل كان آخر ما قال: إنه على دين عبد المطلب»[٣].

---

(١) انظر: زاد المعاد (٥٠٢/١) [مؤسسة الرسالة، ط٧].

(٢)انظر: المغني في الفقه (٣٨١/٢) [دار الفكر، ط١].

(٣) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٣٣٩/٨) [الرئاسة العامة، ط١، ١٤١١هـ].

وأما من قالوا: يجوز العمل بحديث أبي أُمامة مع ضعفه؛ لكونه في الفضائل، فقد أجاب عنه محدث العصر الألباني، بقوله: «ولا يرد هنا ما اشتهر من القول بالعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، فإن هذا محله فيما ثبت مشروعيته بالكتاب أو السُّنَّة الصحيحة، أما ما ليس كذلك فلا يجوز العمل فيه بالحديث الضعيف؛ لأنه تشريع ولا يجوز ذلك بالحديث الضعيف؛ لأنه لا يفيد إلا الظن المرجوح اتفاقًا، فكيف يجوز العمل بمثله؟! فليتنبه لهذا من أراد السلامة في دينه، فإن الكثيرين عنه غافلون»[1].

ويقال أيضًا: قد قال الله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ *} [إبراهيم] .

فمن كان من أهل هذه الآية ثبَّته الله ولو لم يلقنه أحد، ومن لم يكن من أهلها فلن يثبت ولو لقنه من في السماوات والأرض.

والخلاصة: أن التلقين عند الاحتضار أمر مجمع عليه لا مجال لإنكاره؛ لما سبق من الأدلة الصريحة في الباب.

وأما تلقين الميت بعد الدفن فبدعة كما تقدم، وإنكاره هو المعروف وهو الصحيح ــ وسبق ذكر بعض أدلة من أجازه والرد عليها.

خصوصية الأنبياء بالتخيير عند الموت:

صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن كل نبي يخير عند موته بين الدنيا والآخرة ، جاء ذلك في روايات عدة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهْوَ صَحِيحٌ يَقُولُ : إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ يُخَيَّا أَوْ يُخَيَّرَ . فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِ عَائِشَةَ غُشِي عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ الْبَيْتِ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى . فَقُلْتُ: إِذًا لاَ يُجَاوِرُنَا . فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهْوَ صَحِيحٌ)[2].

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٦٤/٢).

(٢)رواه البخاري (٤٤٣٧) ومسلم (٢٤٤٤).

وعنها رضى الله عنها قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ :(مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلاَّ خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ . وَكَانَ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ أَخَذَتْهُ بُحَّةٌ شَدِيدَةٌ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : (مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ) فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ)[1].

فهذه الروايات الصحيحة تدل على أنه ما من نبي يمرض إلا خُيّر بين البقاء في الحياة الدنيا والموت.

وذكر بعض أهل العلم: أن من حكمة ذلك التخيير:

١-أن التخيير يكون إكرامًا له؛ ليكون قبض روحه عن أمره، فيجوز أن يختار تعجيل معاناة الموت لما يصير إليه، ويجوز أن يختار تأخير الموت عنه مع علمه بمنزلته إيثارًا لطاعة الله على حظ النفس[2].

٢- لتكون وفادة النبي على الله وفادة محب مخلص مبادر.

ولتقاصُر المؤمن عن يقين النبي صلى الله عليه وسلم تولى الله الخيرة في لقائه؛ لأنه وليه؛ فاختار الله لوليه لقاءه دون تخيير لعلمه جل وعلا بما هو خير له[3]. والله أعلم

وهذا التخيير للأنبياء عند الموت مما اختصوا به عن من سائر الناس.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " هذه الحالة من خصائص الأنبياء أنه لا يقبض نبي حتى يخير بين البقاء في الدنيا وبين الموت "[4].

ج-الموت:

الموت لغة: ذهاب القوة من الشيء، قال ابن فارس: «الميم والواو والتاء أصل صحيح يدل على ذهاب القوة من الشيء، ومنه الموت خلاف الحياة»[1].

---

(١) رواه البخاري (٤٥٨٦).

(٢) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٢/٥٤٠) [دار الوطن، ط١٤١٨هـ].

(٣) انظر: فيض القدير للمناوي(٥/ ٥٠١).

(٤) فتح الباري (١٠/١٣١).

فالموت إذن: ضد الحياة وخلافها[٢].

حقيقة الموت شرعاً: مفارقة الروح الجسد كليًّا بالموت أو جزئيًّا بالنوم[٣].

قال القرطبي: «قال العلماء: الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وحيلولة بينهما، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار، والحياة عكس ذلك»[٤] .

وقال الحافظ ابن حجر: «ولا يلزم من قبض الروح الموت، فالموت انقطاع تعلق الروح بالبدن ظاهرًا وباطنًا، والنوم انقطاعه عن ظاهره فقط»[٥].

مسميات الموت: يسمى الموت بعدة أسماء أخرى، منها: الموت، والحتف، والمنون، والسام، والحِمام، والرَّدى، والحين، والوفاة، والهلاك[٦].

ويسمَّى: الساعة الصغرى – في مقابل الساعة الوسطى والكبرى– ، والقيامة الصغرى – في مقابل القيامة الكبرى–[٧].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغه (٢٨٣/٥) [دار الجيل، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (٢٠٦)، والمصباح المنير للفيومي (٥٨٤/٢) [دار الكتب العلمية].

(٣)انظر: فتح الباري (٦٧/٢) [دار المعرفة]. وراجع: التذكرة للقرطبي (٤)، والروح لابن القيم (٣٤) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ] .

(٤)الجامع لأحكام القرآن (٣٧٧/٧) [دار الشعب].

(٥)فتح الباري (٦٧/٢) [دار المعرفة].

(٦) انظر: الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة (٢٣٢/١) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ]، ومقاييس اللغة (١٣٥/٢) [دار الجيل، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وتهذيب اللغة (٢٥٧/٤) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

(٧) انظر: إحياء علوم الدين (٦٤/٤) [دار المعرفة]، وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٠٤/٦) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ]، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥٣٣/٩) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ]، وروح المعاني (١٤١/٧) [دار إحياء التراث العربي]، وأشراط الساعة ليوسف الوابل (ص: ٦٢).

الأدلة على وجود الموت: دلَّ على الموت كأمر وجودي مخلوق قول الحق تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ *} [الملك] .

وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة...، فيذبح»[1] الحديث.

والناس يعرفونه يوم القيامة، وموطن ذبحه الصراط؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط، فيقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم ربنا، هذا الموت، ثم يقال: يا أهل النار، فيطلعون فرحين مستبشرين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم، هذا الموت، فيؤمر به فيذبح على الصراط، ثم يقال للفريقين كليهما: خلود فيما تجدون لا موت فيه أبدًا»[2].

وفي الموت الذي تفارق فيه الروح الجسد قال تعالى: {فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ} [البقرة: ٢٥٩] ، وقال تعالى: {ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ *} [عبس] .

وقال صلّى الله عليه وسلّم: «اللَّهُمَّ من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان»[3].

---

(١)أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٣٠)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٣٢٧)، وأحمد (٧٧/٣) [دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ]، وجوَّد المنذري إسناده في الترغيب والترهيب (٣١٧/٤) [دار الكتب العلمية، ط١]، وأورده الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤٠٧/٣) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٧هـ] وقال: «حسن صحيح».

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٠١)، والترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٢٤)، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٤٩٨)، وأحمد (٤٠٦/١٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٣٢٦) وصححه، وصححه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح (٥٢٧/١) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٥هـ].

وفي الموت الذي هو بمعنى النوم قال صلّى الله عليه وسلّم: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»[١].

وقد جاء الجمع بين الموتتين في قوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *} [الزمر] .

وفي قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه... ثم يقول: باسمك ربِّ وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»[٢].

فالإمساك في الموتة الكبرى والإرسال في الصغرى.

حكم الإيمان بالموت: الإيمان بالموت واجب؛ لدلالة النصوص الكثيرة وإجماع المسلمين والحس والمشاهدة على إثباته. وقد تقدم ذكر بعضها قريباً.

فيجب على كل مسلم الاعتقاد الجازم بأن الموت أمر وجودي يقابل الحياة، واعتقاد أن الموت الشرعي مفارقة الروح الجسد مع بقائها بعده، وأنها لا تفنى ولا تبلى بفنائه، والتصديق بكل ما جاءت به النصوص من الأمور المتعلقة به.

عموم سكرات الموت: سكرات الموت كرباته وغمراته وشدته نتيجة الألم، وهي عامة للمؤمن والكافر. وهي على الكفار والعصاة أشد:

وقد ذكر الحق تعالى السكرات في قوله: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ *} [ق] .

وهي المرادة بقوله تعالى في الغشي: {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً *أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ

---

(١)أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣١٢).

(٢)أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٢٠)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٤).

كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا *} [الأحزاب] .

والذي يغشى عليه من الموت، هو المحتضر يغمى عليه لما يعاني من سكرات الموت(١).

وفي «صحيح البخاري» أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات» ثم نصب يده، فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قبض، ومالت يده، قال أبو عبد الله: العلبة من الخشب والركوة من الأدم(٢).

وكون الكافر يكون أكثر ألماً دل عليه القرآن ؛ فقد وصف القرآن الكريم حال الظالمين في السكرات وشدة الملائكة عليهم، فقال: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلاَئِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ *} [الأنعام] .

وإن كانت المعاناة عامة ومتفاوتة المقدار، إلا أن الشهيد يخفف عليه كما دلَّ عليه ظاهر قوله صلّى الله عليه وسلّم: «الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم القرصة»(٣).

والاحتضار وما يصحبه من سكرات هو من المصائب والشدائد والأهوال التي تصيب المؤمن؛ فتكفر به سيئاته، وتزاد حسناته، وترفع درجاته.

ما ثبت في نسبة التوفي تارة إلى الله وتارة إلى الملائكة:

قال تعالى: {قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون}.

---

(١) انظر: بيان المعاني (٢٨/٦) [مطبعة الترقي، ط١٣٨٢هـ]، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٩٣٣/١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ].

(٢)أخرجه البخاري (كتاب الرقائق، رقم ٦٥١٠).

(٣)أخرجه الترمذي (أبواب فضائل الجهاد، رقم ١٦٦٨) وقال: حسن صحيح، والنسائي (كتاب الجهاد، رقم ٣١٦١)، وابن ماجه (كتاب الجهاد، رقم ٢٨٠٢)، وأحمد (٣٣٤/١٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٥٢)، وحسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٦٠).

وقال تعالى : {حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون} ،

وقول تعالى تعالى: {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى}.

ولا تعارض بينها ؛لأن ملك الموت يتولى قبضها واستخراجها، ثم يأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، ويتولونها بعده، كل ذلك بإذن الله وقضائه وقدره، وحكمه وأمره، فصحت إضافة التوفي إلى كل بحسبه(١).

الموت مخلوق وجودي:

ومن الأدلة على ذلك:

١- أنه مخلوق: قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ *} [الملك] ، قال ابن كثير: «استدل بهذه الآية من قال: إن الموت أمر وجودي؛ لأنه مخلوق»(٢).

٢- أنه يذبح يوم القيامة بعد استقرار أهل الدارين في داريهما. كما تقدم في الأدلة أنه يؤتى به يوم القيامة على صورة كبش ويذبح.

وقد فسَّر الفزع الأكبر في قوله تعالى: {لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ} [الأنبياء: ١٠٣] بتفاسير؛ أحدها: أنه ساعة ذبح الموت(٣).

وكذا فسر يوم الحسرة في قوله تعالى: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ *} [مريم] ، بأنه ساعة ذبح الموت على رأي الجمهور(٤).

---

(١) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز- ط الأوقاف السعودية (ص: ٣٨٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٣٩٧/٤) [دار الفكر، ١٤٠١هـ].

(٣) انظر: النكت والعيون (٤٧٣/٣) [دار الكتب العلمية]، وتفسير العز بن عبد السلام (٣٣٩/٢) [دار ابن حزم، ط١، ١٤١٦هـ].

(٤)انظر: تفسير ابن عطية (١٧/٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ]، وعمدة القاري (٢٨٣/١٩) [دار إحياء التراث العربي].

***المخالفون في الموت والرد عليهم**:خالف طائفة من المعتزلة والقدرية والفلاسفة فزعموا أن الموت أمر عرضي أو عدمي[١] أي: أنه شيء معنوي، وليس جسمًا وجوديًّا. وربما قال بعضهم إنه: عَرَضٌ وليس بجوهر على اصطلاحهم.

قال السفاريني: «ذهب جمعٌ إلى أن الموت عرض ومعنى، والأعراض لا تنقلب أجسامًا؛ بل زعم بعضهم أن الموت عدم محض، وبه قال الزمخشري»[٢].

وقال ابن تيمية: «وكثير من النزاع في ذلك يكون لفظيًّا، فإنه قد يكون عدم الشيء مستلزمًا لأمر وجودي، مثل الحياة مثلاً فإن عدم حياة البدن مثلاً مستلزم لأعراض وجودية، والناس تنازعوا في الموت: هل هو عدمي أو وجودي؟ ومن قال: إنه وجودي احتج بقوله تعالى: {خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ} [الملك: ٢] ، فأخبر أنه خلق الموت، كما خلق الحياة.

ومنازعه يقول: العدم الطارئ يخلق كما يخلق الوجود، أو يقول: الموت المخلوق هو الأمور الوجودية اللازمة لعدم الحياة وحينئذ فالنزاع لفظي»[٣].

وقد رد ابن القيم على المخالفين بما يأتي:

١ ـ هذا الكبش والإضجاع والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأً قبيحًا، وقال: الموت عرض والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح، وهذا لا يصح.

٢ ـ أن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح، كما ينشئ من الأعمال صورًا معاينة يثاب بها ويعاقب، والله تعالى ينشئ من الأعراض أجسامًا تكون الأعراض مادة لها، وينشئ من الأجسام أعراضًا، كما ينشئ سبحانه وتعالى من الأعراض أعراضًا ومن الأجسام

---

(١)الحاوي للفتاوي (٢/٢٨٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ]، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (٢/٥٩١) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٦هـ]، وأضواء البيان (٨/١١٥) [دار الفكر، ١٤١٥هـ]، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (٤٢٤) [دار إحياء التراث العربي، ط٣].

(٢)لوامع الأنوار البهية (٢/٢٣٧).

(٣)درء تعارض العقل والنقل (٢/٣٨٣).

أجسامًا، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للربِّ تعالى، ولا يستلزم جمعًا بين النقيضين ولا شيئًا من المحال.

٣ ـ لا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله، والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول صلّى الله عليه وسلّم وكلامه، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح، وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح، ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه. وأن الله سبحانه ينشئ من الأعراض أجسامًا ويجعلها مادة لها[١].

د- البرزخ.

البرزخ لغة: قال ابن فارس رحمه الله: « البرزخ: الحائل بين الشيئين كأن بينهما برازًا؛ أي: متسعًا من الأرض، ثم صار كل حائل برزخًا»[٢].

ومنه قوله تعالى: {بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ *} [الرحمن] ، وجمعه برازخ، قيل: وأصله برزة فعُرِّبَ[٣].

والبرزخ شرعاً: هو ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر، من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ[٤].

---

(١) انظر: حادي الأرواح لابن القيم (٢٨٣) فما بعدها.

(٢) مقاييس اللغة (٣٠٨/١).

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القران (١١٨) [دار القلم، ط٢]، ولسان العرب (٨/٣) [دار صادر، ط٣]، والتعريفات (٦٣) [دار الكتاب العربي، ط٢]، والكليات (٢٢٦، ٢٤٩)، وترتيب القاموس المحيط (٢٤٨/١) [دار الفكر، ط٣].

(٤) انظر: لسان العرب (٨/٣)، وتفسير الطبري (٢٤٣/٩) [دار الكتب العلمية، ط١]، ومعالم التنزيل (٤٢٨/٥) [دار طيبة]، وزاد المسير (٤٩٠/٥) [المكتب الإسلامي، ط٤]، وتفسير القرطبي (١٥٠/١٢) [دار إحياء التراث العربي]، وتفسير ابن كثير (٢٥٦/٣) [دار الفكر، ١٤٠٦هـ]، وفتح القدير (٤٩٩/٣) [دار الفكر، ١٤٠٣هـ].

قال ابن عباس رضي الله عنها: " البرزخ: ما بين الموت إلى البعث "[١].

وبنحوه روي عن مجاهد[٢].

والبرزخ من مقدمات اليوم الآخر، وأول منازل الآخرة التي يقع فيه النعيم أو العذاب على مستحقه قبل يوم القيامة؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «القبر أول منازل الآخرة، فإن ينج منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»[٣].

قال النحاس رحمه الله: «روي أن رجلاً قال بحضرة الشعبي رحمه الله: رحم الله فلانًا قد صار من أهل الآخرة، قال: لم يصر من أهل الآخرة ولكن صار من أهل البرزخ، وليس من الدنيا ولا من الآخرة»[٤].

وقال ابن القيم رحمه الله: «ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة... وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة»[٥].

والحياة البرزخيَّة: هي حياة أهل القبور في البرزخ ، وهي تتمثل في نعيم أهل الإيمان، وعذاب الكفار، وبعض العصاة قد يعذبون على بعض ذنوبهم.

والموت هو بداية الحياة البرزخية، ويكون بمفارقة الروح للجسد، قال الله تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ *لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *} [المؤمنون] ، وتنتهي هذه الحياة بقيام الناس لربِّ العالمين للحساب يوم القيامة[٦].

---

(١) ترتيب الأمالي الخميسية للشجري (٢/ ٤٠٦).

(٢) أخرجه هناد بن السري في الزهد برقم (٣١٤).

(٣)أخرجه الترمذي (أبواب الزهد، رقم ٢٣٠٨) وحسنه، ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٧)، وأحمد (٥٠٣/١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الرقاق، رقم ٧٩٤٢) وصححه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٦٨٤) [المكتب الإسلامي].

(٤)إعراب القرآن (١٢٣/٣) [عالم الكتب، ١٤٠٩هـ].

(٥) الروح (١٢٨) [دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤١٠هـ].

(٦)انظر: تفسير الطبري (٥٣/١٨)، تفسير ابن كثير (٤٩٤/٥).

الأدلة على البرزخ: جاء لفظ البرزخ في القرآن الكريم دون السُّنَّة المطهرة، في قوله تعالى: {وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *} [المؤمنون] ، وأما الأدلة على معناه وما يجري فيه فكثيرة جدًّا، وهي متناثرة ضمن الكلام على مفردات البرزخ، والحياة البرزخية، والقبر، والموت.

المخالفون في البرزخ، والرد عليهم:

لما كانت الحياة البرزخية مقرها القبر، فإن المخالفين فيها، هم الذين خالفوا فيما يقع في القبر من النعيم والعذاب. وسيأتي قولهم والرد عليهم عند الكلام على نعيم القبر وعذابه – إن شاء الله– .

هـ– القبر:

القبر لغة: قال ابن فارس: «القاف والباء والراء أصل صحيح يدل على غموض في شيء وتطامن»[١].

والقبر: مدفن الإنسان، يقال: قبَر الميت إذا دفنه، والقبر: حفرة في الأرض يوارى فيها الميت، وجمعه: قبور، والمقبرة، بفتح الباء وضمها: موضع القبور[٢].

والقبر اصطلاحاً: هو مكان دفن الأموات في الأرض[٣].

ويسمى القبر أيضاً بـ: الضريح، ومنها: الرَّمْس، ومنها: الكُدى، ومنها: اللَّحد [من تسمية الكل بالبعض]، ومنها: التربة، ومنها: الجَدَث جمعه أجداث[٤]

---

(١) مقاييس اللغة (٤٧/٥) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ].

(٢)انظر: تهذيب اللغة (١١٩/٩) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، والقاموس المحيط (٤٥٨) [مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ]، ولسان العرب (٦٨/٥) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ].

(٣) انظر: المخصص لابن سيده (٧٨/٢) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ]، والنهاية في غريب الحديث (١٥٦/٤)، والمصباح المنير (٧٣/١) [المكتبة العلمية].

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٤) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٤٥١/١١) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

القبر أول منازل الآخرة:

القبر أول منازل الآخرة، وفيه الحياة البرزخية، والميت فيه إما معذب وإمّا مُنعَّم.

والدليل على ذلك الحديث المتقدم قال صلّى الله عليه وسلّم: «القبر أول منازل الآخرة، فإن ينج منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»[١].

ضغطة القبر: وتسمى أيضاً ضمة القبر:

قال ابن العربي في ضمة القبر: (هي ضيق القبر وفتنته وظلمته ووحشته)[٢].

ويتفات أهل القبور فيها كما سيأتي في الأدلة.

الأدلة على ضغطة القبر:

من أدلة إثبات ضغطة القبر قوله تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا} [طه: ١٢٤] . فإن الكافر بعدما يفتن .كما جاء ذلك في حديث أبي هريرة . «يفتح له باب من أبواب النار فيقال له: هذا مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها، فيزداد حسرة وثبورًا، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: ذلك مقعدك من الجنة وما أعد الله لك فيه لو أطعته، فيزداد حسرة وثبورًا، ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، فتلك المعيشة الضنكة التي قال الله: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى *} [طه] »[٣].

ومما جاء في ضغطة الكافر: حديث البراء بن عازب عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «وإن الكافر» . فذكر موته، قال: «وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من

---

(١)تقدم تخريجه.

(٢) المسالك في شرح موطأ مالك (٣/ ٢٩٨)

(٣) أخرجه ابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٣)، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٤٠٣) وصحَّحه، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢١٩/٣) [مكتبة المعارف، ط٥].

السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار» . قال: «فيأتيه من حرّها وسمومها» . قال: «ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه»[1].

ومما جاء في ضغطة المنافق: حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المُنْكَرُ، والآخر النكيرُ، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»[2].

ومما جاء في ضغطة المؤمن: قوله صلّى الله عليه وسلّم .كما في حديث عائشة رضي الله عنها .: «إن للقبر ضغطة، لو كان أحد ناجيًا منها نجا سعد بن معاذ»[3].

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٥٣) واللفظ له، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٩) مختصرًا، وأحمد (٤٩٩/٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه ابن القيم في أعلام الموقعين (١٣٧/١) [دار الكتب العلمية، ط١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٦١٩/٢)، و(٩٠١/٣) [المكتب الإسلامي، ط١٤٠٩هـ].

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٧١) وحسَّنه، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٧)، وجوَّد إسناده الألباني في الصحيحة (رقم ١٣٩١).

(٣) أخرجه أحمد (٣١٦/٩) [دار طيبة، ط١، ١٤١٢هـ] واللفظ له، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٥/٣) [دار الفكر، ط١٤١٣هـ]: «رواه أحمد عن نافع عن عائشة، وعن نافع عن إنسان عن عائشة، وكلا الطريقين رجالهما رجال الصحيح»، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٨/٤) [مكتبة المعارف، ط٢، ١٤١٦هـ]: «الحديث بمجموع طرقه وشواهده صحيح بلا ريب».

ومما جاء في ضغطة الصغير: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي»[١].

الفرق بين ضغطة المؤمن وضغطة الكافر:

دلت النصوص الآنفة على عموم ضغطة القبر للصالح والطالح، إلا أنه يجب التفريق بين ضغطة المؤمن وضغطة الكافر والمنافق، ولا تصح التسوية بين الفريقين. فالمقبور إن كان مؤمنًا ضُمّ ضمة وأفلت، وإن كان منافقًا أو كافرًا ضغط ضغطاً شديداً وعصر حتى تختلف أضلاعه، وهو عليها إلى يوم البعث. كما دل على ذلك حديث البراء بن عازب وغيره.

أدلة عذاب القبر ونعيمه:

تواترت الأدلة من الكتاب والسنة في إثبات القبر وعذابه ونعيمه:

أ- ففي إثبات القبر: قال تعالى: {ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ *} [عبس] ، وقال تعالى: {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ} [المائدة: ٣١] ، وقال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ *} [يس] .

ومن السُّنَّة: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الذي لدغته الحية، أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال لهم: «اذهبوا فادفنوا صاحبكم»[٢].

وحديث هشام بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال يوم أحد: «احفروا، وأوسعوا، وأحسنوا، وادفنوا الاثنين والثلاثة في القبر، وقدموا أكثرهم قرآنًا»[٣]. وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار، ولا

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢١/٤) [مطبعة الوطن العربي، ط١، ١٤٠٠هـ]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٧/٣) [مكتبة القدسي]: «رجاله رجال الصحيح»، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٥/٥).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٣٦).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢١٥)، والترمذي (أبواب الجهاد، رقم ١٧١٣) وقال: حسن صحيح، والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠١٠)، وأحمد (١٨٣/٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ]، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (١٤٢ . ١٤٣) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٦هـ].

تبكي، وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد منه» . قال: وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه»(١).

ب- وفي إثبات نعيم القبر:

قال تعالى في شأن المؤمنين المنعمين: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ *} [فصلت] ، والبشرى تكون في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث(٢).

وقال تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ *فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ *} [آل عمران] .

قال القرطبي: «أخبر الله تعالى فيها عن الشهداء أنهم أحياء في الجنة يرزقون، ولا محالة أنهم ماتوا وأن أجسادهم في التراب، وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين، وفضلوا بالرزق في الجنة من وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم»(٣).

وقال صلّى الله عليه وسلّم: «لما أُصيب إخوانكم بأُحُد جعل الله عزّ وجل أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم؛ قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا؛ لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عزّ وجل : أنا أبلغهم

---

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الزهد، رقم ٢٣٠٨) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٧)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٥٠٣/١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الرقاق، رقم ٧٩٤٢) وصححه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٦٨٤) [المكتب الإسلامي].

(٢) انظر: معالم التنزيل (١٧٣/٧) [دار طيبة، ط١٤٠٩هـ]، والجامع لأحكام القرآن (٣٥٩/١٥) [دار إحياء التراث العربي].

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٦٩/٤).

عنكم» فأنزل الله عزّ وجل هؤلاء الآيات على رسوله صلّى الله عليه وسلّم: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ *} [آل عمران] (١).

ولما توفي أبو سلمة رضي الله عنه قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «اللَّهُمَّ اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه»(٢).

ج- وفي عذاب القبر:

قال تعالى في شأن المعذَّبين في قبورهم: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ *} [غافر] ، قال ابن كثير: «وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السُّنَّة على عذاب البرزخ في القبور»(٣).

وقال تعالى: {سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ *} [التوبة] ، فالعذاب الثاني هو عذاب القبر، حكاه ابن كثير عن جمع من الصحابة والتابعين(٤).

وفي الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلّى الله عليه وسلّم يوم الخندق فقال: «ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارًا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس»(٥).

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٥٢٠)، وأحمد (٢١٨/٤) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والحاكم (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٤٤) وصحَّحه، وحسَّنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ٢٢٧٥) [مؤسسة غراس، ط١].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٢٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٨١/٤) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٤) انظر: المرجع السابق (٣٨٦/٢).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٩٦)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٦٢٧).

وفي التعوذ من عذاب القبر قال صلّى الله عليه وسلّم: «اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا، وفتنة الممات، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من المأثم والمغرم»[١].

فالنصوص السابقة تدل على إثبات عذاب القبر.

وقد بلغت النصوص الحديثية الدالة على عذاب القبر ونعيمه مبلغ التواتر، كما نص على ذلك جمع من أهل العلم، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيِّم، وابن أبي العز الحنفي، وابن رجب الحنبلي، والسيوطي، والكتاني، والسفاريني، والزبيدي، والشوكاني، والمناوي، وناصر الدين الألباني، وغيرهم[٢].

عذاب القبر ونعيمه يقعان على الروح والبدن:

دلَّت أحاديث المساءلة في القبر على الخصوص، أن الروح تعود إلى البدن، وأنه يتبع ذلك ألوان من النعيم أو العذاب، وهو عود خاص «ليس مثل عودها إليه في هذه الحياة الدنيا، وإن كان ذلك قد يكون أكمل من بعض الوجوه»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السُّنَّة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح منفردة عن البدن»[٤].

وقال ابن كثير عمن تتوفاهم الملائكة وهم ظالمو أنفسهم: «يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، وينال أجسادهم في قبورهم من حرِّها وسمومها»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٣٢)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٨٩).

(٢) رسائل الآخرة (١/٢٥٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/٢٧٤).

(٤) المرجع السابق (٤/٢٨٢).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢/٥٦٨).

وقال السيوطي: «ومحله الروح والبدن باتفاق أهل السُّنَّة»[١].

وقال الألوسي: «العذاب والنعيم للروح والبدن مسلم عند الجمهور»[٢].

أنواع عذاب القبر: دائم ومنقطع:

دلت نصوص الوحي على أن عذاب القبر ليس على صورة واحدة؛ بل هو متنوع بحسب حال الشخص، فقد يكون مستمرًا وقد يكون منقطعًا.

فالعذاب المستمر: هو العذاب الدائم الذي لا ينقطع عن مستحقه حتى تقوم الساعة، وهو للكفار خاصة ولبعض عصاة الموحدين على ذنوب معينة.

قال صلّى الله عليه وسلّم في صاحب الكبر والخيلاء: «بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خُسف به، فهو يتجلجل[٣] في الأرض إلى يوم القيامة»[٤]، وفي رواية: «بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته وبرداه إذ خُسف به الأرض، فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة»[٥].

وقال صلّى الله عليه وسلّم في صاحب الكذبة تبلغ الآفاق وأطراف الأرض: «أما الذي رأيته يُشَقُّ شِدْقُه؛ فكذابٌ يحدِّث بالكذبة، فتُحْمَل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيُصْنَع به إلى يوم القيامة»[٦] ، فالشاهد منه قوله صلّى الله عليه وسلّم: «فيُصْنَع به إلى يوم القيامة».

---

(١) شرح الصدور (٢٤٧) [دار ابن كثير، ط٢، ١٤١٣هـ].

(٢) الآيات البينات في عدم سماع الأموات (٨٠) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٥هـ].

(٣) يتجلجل: يغوص في الأرض حين يخسف به، والجلجلة حركة مع صوت. انظر: النهاية في غريب الحديث (٢٨٤/١) [دار الفكر].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٨٥) من حديث ابن عمر، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢٠٨٨) من حديث أبي هريرة.

(٥) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٧٨٩)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢٠٨٨) واللفظ له.

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٨٦).

وفي العذاب والنعيم المتصلان قال صلّى الله عليه وسلّم في المقعد يُعْرَض على صاحبه: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[١].

فتبين أن من عذاب القبر ما يكون متصلاً دائمًا لا ينقطع إلى يوم البعث الآخر، وأنه ليس خاصًّا بالكافرين؛ بل قد ينال بعض الموحدين المفرطين.

وأما العذاب المنقطع: فهو الذي لا يستمر بصاحبه؛ بل ينقطع قبل يوم القيامة، فهو مؤقت يزول بزوال سببه، أو باستيفاء عقوبته.

ومثال الأول: تعذيب الميت المسلم ببكاء الحي؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «إن الميت لَيُعَذَّب ببكاء أهله عليه»[٢].

أي: البكاء المحرم، وهو ما كان بصوت وندب ونياحة، لا مجرد دمع العين، فهذا لا محظور فيه ولا يتعلق به وعيد؛ بدليل بكاء النبي صلّى الله عليه وسلّم على ابنه إبراهيم عليه السلام.

ومثال الثاني: صاحب الصفَّة الذي مات وقد ترك دينارًا أو دينارين، فكوي بكل دينار كية، قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن رجلاً من أهل الصفَّة مات فوجدوا في بردته دينارين، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «كَيَّتان»[٣].

وهذا النوع من العذاب المنقطع خاص بالمؤمنين دون غيرهم، فليس بمقر دائم لأرواحهم.

عذاب القبر ونعيمه من الغيب: جاء في حديث زيد بن ثابت، قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار، على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٧٩)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٨٦)، ومسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٢٧).

(٣) أخرجه أحمد (١٠١/٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وأبو يعلى (٤١٥/٨) [دار المأمون، ط١]، وابن حبان (كتاب الزكاة، رقم ٣٢٦٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٠/١٠) [مكتبة القدسي]: «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، وفيه عاصم بن بهدلة، وقد وثقه غير واحد، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٦/٦).

أقبر ستة أو خمسة أو أربعة ... فقال: «من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟» فقال رجل: أنا، قال: فمتى مات هؤلاء؟ " قال: ماتوا في الإشراك، فقال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»...)[1]الحديث.

فأفاد الحديث أن غير النبي صلى الله عليه وسلم من البشر لا يسمع عذاب القبر. وإنما هو محجوب عنهم بحجاب الغيب.

قال ابن القيّم – رحمه الله–: «جعل الله أمر الآخرة وما كان متصلاً بها غيبًا، وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار، وذلك من كمال حكمته، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم»[2].

وقال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله– : (من نعمة الله أننا لا نعلم به حسا، بل نؤمن به غيبا)[3].

أسباب عذاب القبر:

أسباب عذاب القبر كثيرة، ومما دلَّت عليه النصوص[4] منها ما يأتي:

١– الغلول، لحديث أبي رافع قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا صلى العصر ربما ذهب إلى بني عبد الأشهل، فيتحدث حتى ينحدر للمغرب، فبينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مسرعًا إلى المغرب، إذ مر بالبقيع، فقال: «أف لك، أف لك» مرتين، فكبَّر في ذرعي، وتأخرت، وظننت أنه يريدني، فقال: «ما لك؟ امش» قال: قلت: أحدثتُ حدثًا يا رسول

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢١٩٩) برقم (٢٨٦٧).

(٢) الروح (١١٥).

(٣) شرح رياض الصالحين للعثيمين (١/ ٤٥٦).

(٤) راجع بتوسع: رسائل الآخرة (١/ ٢٧٠ . ٣٧١).

الله؟ قال: «وما ذاك؟» قلت: أفقتَ بي. قال: «لا، ولكن هذا قبر فلان، بعثته ساعيًا على بني فلان، فغلَّ نمرة، فدُرِّع الآن مثلها من نار»[١].

٢- تعذيب الحيوان، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تسقها، ولم ترسلها فتأكل من خشاش الأرض»[٢].

٣- الكبر والخيلاء، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خُسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»[٣].

٤- الغيبة، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «لما عرج بي ربي عزّ وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»[٤].

٥-أكل الربا؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم .كما في حديث سمرة بن جندب الطويل. لما أتاه آتيان فابتعثاه، وفيه: «فإذا نهر من دم فيه رجل، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فيُقبل الرجل الذي في النهر، فإذا دنا ليخرج رمى في فيه حجرًا فرجع إلى مكانه، فهو يفعل ذلك به، فقلت: ما هذا؟ فقالا: انطلق. فانطلقت فقلت لهما: إنكما قد طوَّفتماني منذ الليلة، فأخبراني عما رأيت. فقالا: نعم،... وأما الذي رأيت في النهر: فذاك آكل الربا»[٥].

---

(١) أخرجه النسائي (كتاب الإمامة، رقم ٨٦٢)، وأحمد (١٧٠/٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وابن خزيمة (كتاب الزكاة، رقم ٢٣٣٧)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٣٥٠) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٣١٨)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٤٣).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٨٧٨)، وأحمد (٥٣/٢١) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والطبراني في الأوسط (٣٢/١) [دار الحرمين، ١٤١٥هـ]، والضياء في المختارة (٢٦٦/٦) [دار خضر، ط٣]، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٩٣/٢) [المكتب الإسلامي، ط١٤٠٩هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٠٨٥)، وأحمد (٣٣٥/٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له.

٦- التألي على الله، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «كان في بني إسرائيل رجلان: كان أحدهما مجتهدًا في العبادة، وكان الآخر مسرفًا على نفسه، فكانا متآخيين، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب، فيقول: يا هذا أقصر. فيقول: خلني وربي، أبُعثت علي رقيبًا؟ قال: إلى أن رآه يومًا على ذنب استعظمه، فقال له: ويحك أقصر. قال: خلني وربي، أبُعثت علي رقيبًا. قال: فقال: والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة أبدًا. قال: فبعث الله إليهما ملكًا، فقبض أرواحهما واجتمعا، فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي. وقال للآخر: أكنت بي عالمًا؟ أكنت على ما في يدي خازنًا؟ اذهبوا به إلى النار» ، قال أبو هريرة: «فوالذي نفس أبي القاسم بيده لتكلم بالكلمة أوبقت دنياه وآخرته»[١].

فتنة القبر وسؤال منكر ونكير:

فتنة القبر: امتحان الميت واختباره بعد عود الروح إلى جسده وإقعاده؛ فيسأله الملكان عن ربه ودينه ونبيه، فإن كان صالحًا وفق للإجابة، ثم أكرم وكوفئ بألوان من النعيم، وإن كان سيّئًا أهين وجوزي بألوان من العذاب.

قال ابن حجر: (قوله : " ومن فتنة القبر " : هي سؤال الملكين)[٢].

وقال المباركفوري : (" وفتنة القبر " أي : التحير في جواب الملكين)[٣].

الفرق بين فتنة القبر وعذاب القبر:

دلت النصوص على التفريق بين فتنة القبر وعذاب القبر.

منها: حديث عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار **وعذاب القبر وفتنة القبر**..." الحديث.

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٩٠١)، وأحمد (٤٦/١٤) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وابن حبان (كتاب الحظر والإباحة، رقم ٥٧١٢)، وجود إسناده العراقي في تخريج الإحياء (١٥٠٠) [دار ابن حزم، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٤٥٥).

(٢) فتح الباري (١١ / ١٧٧).

(٣) تحفة الأحوذي (٩ / ٣٢٨).

قال ابن عبد البر –بعد أن ذكر الحديث –: (فهذا الحديث يدل على أن فتنة القبر غير عذاب القبر لأن الواو تفصل بين ذلك. هذا ما توجبه اللغة وهو الظاهر في الخطاب والله أعلم) إلى أن قال: (وقد يجوز أن يتأول متأول في هذا الحديث وسياقته على ما ذكره ابن أبي شيبة فيه أن فتنة القبر والسؤال فيه هو عذاب القبر ولكن ما ذكرنا أظهر في المعنى)[1].

ولعل من سوى بينهما –كالمتأول الذي أشار إليه ابن عبدالبر – نظر إلى ترتب عذاب القبر على فتنة القبر وسؤال الملكين.

والصحيح التفريق بينهما؛ للحديث الصريح سابق الذكر.

قال القرطبي: (فِتنةُ القَبرِ: هيَ الضَّلالُ عَن صَوابِ إجابةِ المَلَكينِ فيه، وهما: مُنكَرٌ ونَكِيرٌ – كَما تَقَدَّمُ– وعَذابُ القَبرِ: هو ضَربُ مَن لَم يوفَّقْ لِلجَوابِ بمَطارِقِ الحَديدِ، وتَعذيبُه إلَى يَومِ القيامةِ)[2].

وما جاء في الأحاديث من التعوذ من فتنة القبر محمول على التعوذ من شرها وهو ما يترتب على الفتنة والسؤال من التحير وعدم إصابة الجواب كما تقدم في كلام القرطبي والمباركفوري ، وليس المقصود به التعوذ من السؤال نفسه ومضمونه، والله أعلم.

أدلة فتنة القبر وسؤال الملكين للميت:

هذه الفتنة ثابتة بالنصوص الشرعية، قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ *} [إبراهيم] ، فهذه الآية نزلت في تثبيت المؤمن عند السؤال كما جاء في الصحيحين وغيرهما[3].

وفي حديث البراء بن عازب الطويل قال: خرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٢/ ٢٥٣-٢٥٤).

(٢) المفهم للقرطبي (٣٣/٧).

(٣) انظر: صحيح البخاري (٤٦١/١) [دار ابن كثير، ط٤، ١٤١٠هـ]، وصحيح مسلم (١٦٢/٨) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ].

وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» . مرتين أو ثلاثًا، زاد في حديث جرير هاهنا، وقال: «وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له: يا هذا، من ربك وما دينك ومن نبيّك؟». قال: «ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟» . قال: «فيقول: هو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت» . زاد بعض رواته: «فذلك قول الله: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ *} [إبراهيم] ». قال: «فينادي مناد من السماء: أن قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة» . قال: «فيأتيه من روحها وطيبها» . قال: «ويفتح له فيها مد بصره» . قال: «وإن الكافر» . فذكر موته، قال: «وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار» . قال: «فيأتيه من حرّها وسمومها» . قال: «ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ». زاد بعض رواته: «ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد، لو ضرب بها جبل لصار ترابًا» . قال: «فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين، فيصير ترابًا» . قال: «ثم تعاد فيه الروح»[1].

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٥٣)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٩) مختصرًا، وأحمد (٤٩٩/٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه ابن القيم في أعلام الموقعين (١٣٧/١) [دار الكتب العلمية، ط١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٦١٩/٢) و(٩٠١/٣) [المكتب الإسلامي، ١٤٠٩هـ].

وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال النبي صلّى الله عليه وسلّم في المرابط يموت: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفَتَّان»[١].

وكان صلّى الله عليه وسلّم يتعوذ من فتنة القبر، يقول: «اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من فتنة النار، ومن عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة القبر، وأعوذ بك من عذاب القبر»[٢].

ودعا صلّى الله عليه وسلّم لبعض الأموات فقال: «ألا إن فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك، فقه فتنة القبر وعذاب النار، أنت أهل الوفاء والحق، اللَّهُمَّ فاغفر له وارحمه، فإنك أنت الغفور الرحيم»[٣].

وأهل السُّنَّة يثبتون هذا المعتقد بالإجماع؛ لدلالة النقل عليه، وهو من العقائد الثابتة بالتواتر. قال ابن عبد البر: «وأهل السُّنَّة والجماعة مصدقون بفتنة القبر وعذاب القبر؛ لتوافر الأخبار بذلك عن النبي صلّى الله عليه وسلّم»[٤].

عود الروح إلى الجسد لسؤال القبر:

ثبت ذلك في النصوص السابقة ومنها حديث البراء بن عازب، وفيه : "... وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه..."

ملكا السؤال وصفاتهما : ملكا السؤال اثنان هما منكر ونكير. كما جاء تسميتهما وصفتهما في الحديث:

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩١٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٧٦).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٠٢)، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٤٩٩)، وأحمد (٣٩٩/٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣٠٧٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٨/٢).

(٤) الاستذكار (٤٢١/٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المُنْكَرُ، والآخر: النكيرُ، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟..»[١].

ونص على اسم الملكين "منكر ونكير" غير واحد من أهل العلم:

قال ابن عبد البر: «وأما قوله: «إنكم تفتنون في قبوركم»[٢] فإنه أراد فتنة الملكين منكر ونكير حين يسألان العبد: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فالآثار بذلك متواترة، وأهل السُّنَّة والجماعة وهم أهل الحديث والرأي في أحكام شرائع الإسلام كلهم مجمعون على الإيمان والتصديق بذلك، إلا أنهم لا يتكلفون فيه شيئًا، ولا ينكره إلا أهل البدع»[٣].

ولا يصح القول بأن القائم على فتنة القبر ثلاثة أو أربعة؛ إذ لا دليل عليه[٤].

ولا يصح تسمية ملائكة الفتنة بناكور، ورومان، ومبشر، وبشير؛ إذ لا دليل عليها[٥].

إثبات أن السؤال يقع بعد تفرق الناس أو بعضهم:

إثبات أن الميت يجلس في قبره للسؤال فيتكلم:

إثبات أن الأصل في السؤال يكون عن المعتقد:

دل على المسائل السابقة حديث البراء بن عازب المتقدم ، وهو أصل في هذا الباب.

---

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٧١) وحسنه، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٧)، وجوَّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٩١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ٨٦)، ومسلم (كتاب الكسوف، رقم ٩٠٥).

(٣) الاستذكار لابن عبد البر (٤٢٣/٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ]، والتمهيد له (٢٤٧/٢٢) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ].

(٤) انظر: الآثار الواردة في ذلك في الموضوعات لابن الجوزي (٢٤٣/٣ ـ ٢٣٥) [مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٧هـ]، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٤٣٦/٢، ٤٣٧) [دار المعرفة].

(٥) انظر: اللآلئ المصنوعة (٤٣٧/٢)، وتنزيه الشريعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (٣٧٢/٢) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠١هـ]، وشرح الصدور (٢٠٠).

هل يتكرر السؤال للمؤمن؟ وهل جوابه معلوم مسبقاً للملائكة:

ليس في الباب شيء صريح يدل على تكرار السؤال . والله أعلم.

لكن تنوعت الروايات الحديثية الصحيحة التي قد يفهم منها تكرار السؤال، فروايات جاء فيها أن الإنسان يأتيه ملك[١]، وفي روايات: يأتيه ملكان[٢]، وفي بعضها: يأتيه آت[٣]، أو يؤتى، أو يُسأل، أو يقال له دون ذكر للملك أو الملكين[٤].

ولا تعارض بين روايات «ملك» و«ملكين» والحمد لله؛ بل كل ذلك صحيح المعنى بالنسبة إلى الأشخاص، فرب شخص يأتيه ملكان فيسألانه في آن واحد عند انصراف الناس؛ لتكون الفتنة في حقه أشد وأعظم، بحسب ما اقترف من الآثام، ورب شخص يأتيانه متفرقين، فيكرران عليه السؤال، فيأتيه أحدهما قبل انصراف الناس عنه، ويأتيه الآخر بعد انصرافهم عنه؛ لتكون الفتنة في حقه أخف وأقل لما عمله من صالح الأعمال، ويحتمل أن يأتيه الملكان معًا، ويكون السائل أحدهما، فتحمل رواية مجيء الملك الواحد على هذا، وكذا يقال في الروايات التي جاءت بنحو: «يأتيه آت»، أو: «يؤتى»[٥]. قاله القرطبي بمعناه.

وكأنه استند في ذلك إلى ما جاء في حديث الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا قبر الميت – أو قال: أحدكم – أتاه ملكان أسودان

---

(١) أخرج هذه الرواية: أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٥١)، وأحمد (١١٩/٢١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححها الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٩٣٠).

(٢) أخرجها البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٣٨)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٠).

(٣) أخرجه أحمد (٥٧٦/٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١٩٧/٤) [دار الكتب العلمية، ط١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢١٩/٣) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٤) انظر: رسائل الآخرة (٣٧٥/٢ . ٣٩٢).

(٥) انظر: التذكرة (١٢٨، ١٢٩) [دار قباء للنشر]، وشرح الصدور (١٩٨) [دار ابن كثير، ط٢، ١٤١٣هـ]، ولوامع الأنوار البهية (٧/٢) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١١هـ]، ورسائل الآخرة (٣٧٥/٢ . ٣٩٢).

أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، فيقولان: **قد كنا نعلم أنك تقول هذا** ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له، نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقا قال: سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك) وقال الترمذي عقبه: «حديث أبي هريرة حديث حسن غريب»[1].

ولم يظهر لي وجه استشهاد القرطبي به، ولعله فهم ذلك من قوله: (أتاه ملكان...فيقولان له...) أي أن كل واحد من الملكين يسأله، فسؤال الثاني له بعد سؤال الأول تكرار للسؤال.

والذي يظهر أن ذلك بعيد، وأن السؤال يقع مرة واحدة، وهو ما ذكره في آخر كلامه.

وأما قوله في الحديث : **(قد كنا نعلم أنك تقول هذا)**، فلا يظهر منه تكرار السؤال.

غايته يفيد أن جواب المسؤول في القبر معلوم مسبقاً لدى ملكي السؤال، وليس بالضرورة أن يكون معلوماً لهما من جواب سؤال سابق منهما له.

قال القاري: (وعلمهما بذلك إما بإخبار الله تعالى إياهما بذلك، أو بمشاهدتهما في جبينه أثر السعادة وشعاع نور الإيمان والعبادة)[2].

وليس ذلك خاصاً بالمؤمن ، بل يقول الملكان ذلك للكافر أيضاً كما في الشق الثاني من الحديث.

قال الطيبي: (يعني قد رأينا فيك سيماء أهل الإيمان وشعاع أهل اليقين، فعلمنا فيك السعادة، وأن تجيبنا على وجه يحبه الله تعالى، وعكسه الكافر)[1]. والله أعلم

---

(١) سنن الترمذي ت شاكر (٣/ ٣٧٥) برقم (١٠٧١)، وحسنه الألباني . انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٣٧٩) برقم (١٣٩١).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢١٠).

المستثنون من فتنة القبر مع الأدلة:

أ- ممن استثني من فتنة القبر وسؤاله:

١- الأنبياء: اختلف العلماء في ذلك ، والأظهر أن الأنبياء لا يسألون؛ لأنهم المسؤول عنهم، وأما غير المكلفين؛ فلأن السؤال إنما يكون لمن عقل الرسول والمرسل[٢].

٢- من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة:، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وُقي فتنة القبر»[٣].

٣- من مات مرابطاً في سبيل الله :لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «كل ميت يختم على عمله، إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر»[٤].

ب- ولا يصح ما ورد في استثناء من مات مخضوبًا من الفتنة[٥] [١٢]، ولا من صلى بعد المغرب ركعتين بكيفية معينة[٦].

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٢/ ٥٩٤).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٥٧/٤) [دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ]، والروح (١٤١) [دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤١٠هـ]، والأسئلة المحيرة حول الدنيا والآخرة (٥٩) [مكتبة ابن سينا]، وشرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (٢١٠) [دار ابن كثير، ط٢، ١٤١٣هـ].

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٧٤)، وأحمد (٦٢٧/١١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب،... وليس إسناده بمتصل»، والحديث مختلف في تصحيحه وتضعيفه. ومن حسنه فلشواهد يرتقي بها إلى الحسن عنده، ينظر: أحكام الجنائز للألباني(٣٥) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل الجهاد، رقم ١٦٢١) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٧٤/٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب السير، رقم ٤٦٢٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣١/٢).

(٥) انظر: الموضوعات (٥٦/٣) [مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٧هـ].

(٦) انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (٩٧/٢) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠١هـ].

ومن سلمه الله من فتنة القبر وسؤاله سلمه من عذابه من باب الأولى ، ولا عكس.

وسيأتي في أسباب النجاة بيان من يقيهم الله عذاب القبر.

عرض المقعد على الميت، وأدلته: المراد بعرض المقعد على الميت: هو معاينة الميت مقعديه من الجنة والنار، وما أعد له في كل مكان منهما من ألوان النعيم والعذاب، والمقعد الذي سيصير إليه منهما ويستقر فيه نهاية أمره استقرارًا دائمًا، يفعل به ذلك غدوًا وعشيًا إلى يوم البعث.

وهو أحد مفردات البرزخ المتعلقة بالآخرة، ويكون بعد عود الروح إلى البدن، والإقعاد، والسؤال، فيجب الإيمان به كما جاءت به النصوص.

قال صلّى الله عليه وسلّم: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[1].

وفي حديث البراء بن عازب الطويل أنه بعد الإجلاس والسؤال للمؤمن: «يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطة وسرورًا، ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها لو عصيته، فيزداد غبطة وسرورًا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا وينور له فيه» ، وقال في الكافر: «يفتح له باب من أبواب النار فيقال له: هذا مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها فيزداد حسرة وثبورًا، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: ذلك مقعدك من الجنة وما أعد الله لك فيه لو أطعته فيزداد حسرة وثبورًا، ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه»[2].

والبشارة بنوع المقعد والكشف عنه تسبق الدفن، لحديث أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه ابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٣) واللفظ له، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٤٠٣) وصحَّحه، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢١٩/٣) [مكتبة المعارف، ط٥].

لقاءه» فقلت يا نبي الله: أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت، فقال: «ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشّر برحمة الله ورضوانه وجنته أحبَّ لقاء الله، فأحبَّ الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشّر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله، وكره الله لقاءه»[١].

ويدل عليه أيضًا حديث تكلم الجنازة إذا احتملها الرجال[٢]؛ فقد ذكر البخاري باب كلام الميت المحمول بعد باب عرض المقعد، إشارة إلى هذا المعنى، قال بدر الدين العيني: «راعى هنا أيضًا مناسبة ترجمة هذا الباب لترجمة الباب الذي قبله وهو عرض المقعد عليه، فكأن ابتداءه يكون عند حمل الجنازة؛ لأنه حينئذ يظهر للميت ما يؤول إليه حاله، فعند ذلك يقول ما يقول»[٣].

ثم إن عرض المقعد يكون على الروح والجسد معًا، وقد دلَّ عليه ظاهر الحديث الآنف، «ولا مانع من إعادة الروح إلى الجسد أو إلى البعض الذي يدرَك منه حالة العرض»[٤].

كما أن عرض المقعد عام فيما دون الأنبياء، كما هو ظاهر النصوص.

ولا تعارض بين عرض المقعد وكون الروح طيرًا يأكل من ثمر الجنة:

فلا تنافي بين قوله: «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة»[٥]، وبين قوله: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٤)، وهو عند البخاري أيضًا (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٧) من حديث عبادة بن الصامت.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٨٠).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٢٥/١٣).

(٤) طرح التثريب في شرح التقريب (٤٠٣/٣) [دار إحياء التراث العربي].

(٥) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٧١)، والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٧٣)، وأحمد (٣٥٠/٦) [دار الفكر، ط١، ١٤١١هـ] واللفظ له، ومالك في الموطأ (كتاب الجنائز، رقم ٤٩)، وابن حبان (كتاب السير، رقم ٤٦٥٧)، وصحَّحه ابن كثير في تفسيره (١٦٤/٢) [دار طيبة، ط٢]، الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٩٤/٢) [مكتبة المعارف، ط٢، ١٤١٦هـ].

من أهل النار فمن أهل النار» [١]، وهذا الخطاب يتناول الميت على فراشه والشهيد، كما أن قوله: «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة» يتناول الشهيد وغيره، ومع كونه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ترد روحه أنهار الجنة وتأكل من ثمارها.

وأما المقعد الخاص به، والبيت الذي أعد له، فإنه إنما يدخله يوم القيامة، ويدل عليه أن منازل الشهداء ودورهم وقصورهم التي أعد الله لهم ليست هي تلك القناديل التي تأوي إليها أرواحهم في البرزخ قطعًا، فهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة، ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة بالعرش، فإن الدخول التام الكامل إنما يكون يوم القيامة ودخول الأرواح الجنة في البرزخ أمر دون ذلك[٢].

إثبات أن عذاب القبر يسمعه من يلي الميت غير الثقلين:

دل على ذلك حديث البراء بن عازب وفيه: «فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين، فيصير ترابًا».

وكذلك حديث زيد بن ثابت المتقدم في أقبر المشركين، وفيه: "بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار، على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة...". فهذا يفيد أن البغلة سمعت عذاب القبر دون الصحابة.

قال القرطبي – رحمه الله – في هذا الحديث: (وإنما حادَت به البغلة لما سمِعت من صَوت المعذَّبين، وإنما لم يسمعه من يَعقل من الجن والإنس؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: ((لولا ألا تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمعكم من عذاب القبر)) [٣].

كما يفيد الحديث سماعَ النبي صلى الله عليه وسلم لصوت المعذَّب، فيكون مستثنى من الثقلين. والله أعلم

وسيأتي مزيد بيان للمسألة عند اطلاع الأحياء على حياة البرزخ.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: الروح (٩٧) [دار الكتاب العربي، ط٤].

(٣) التَّذكرة (ص ١٦٣)، والحديث سبق تخريجه.

أسباب النجاة من عذاب القبر :

قد دلت الأحاديث على تعدد الأسباب الموجبة للنجاة من عذاب القبر[١]، فمنها ما يلي:

١- الموت بالبطن - أي: بمرض البطن- والمقصود به الإسهال، وقيل: الموت بداء الاستسقاء وانتفاخ البطن ، وقيل: الموت بداء البطن مطلقاً[٢].

لما روى جامع بن شداد قال: سمعت عبد الله بن يسار قال: كنت جالسًا مع سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة قال: فذكروا رجلاً مات من بطنه، قال: فكأنما اشتهيا أن يصلِّيا عليه، قال: فقال أحدهما للآخر: ألم يقل النبي صلّى الله عليه وسلّم: «من قتله بطنه فإنه لن يعذب في قبره» قال الآخر: بلى[٣].

٢ ـ الشهادة في سبيل الله، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «إن للشهيد عند الله عزّ وجل ست خصال: أن يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه»[٤].

٣- كل من ثبت له الوقاية من فتنة القبر ثبت له النجاة من عذاب القبر بطريق الأولى – كما سبق بيانه-.

---

(١) انظر: رسائل الآخرة (١/٤٠٦ ـ ٤٢٥).

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (١٣/ ٦٢)، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة (١٧٢) [دار قباء].

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٦٤) وحسَّنه، والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٥٢)، وأحمد (٣٠/٢٤٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٢٩٣٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٣٠٩).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل الجهاد، رقم ١٦٦٣) وصحَّحه، وابن ماجه (كتاب الجهاد، رقم ٢٧٩٩)، وأحمد (٢٨/٤١٩) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٢١٣).

ما ورد في سماع الأموات كلام الأحياء: المراد بسماع الأموات: إدراك الأموات للأصوات الكائنة خارج مرقدهم، وهو مجرد سماع الكلام من حيث الجملة، وليس هو سماع قبول وانتفاع واستجابة[(١)].

ومما ورد فيه من الأدلة:

١-قصة شعيب عليه السلام، حيث قال لقومه بعد هلاكهم: {يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ *} [الأعراف] .

وظاهره أنه خاطبهم خطاب من يسمع ويعقل، وإلا لم يكن للكلام فائدة، قال قتادة: «أسمع شعيب قومه، وأسمع صالح قومه، كما أسمع نبيكم قومه يوم بدر؛ يعني: أنه خاطبهم بعد الهلاك»[(٢)].

٢- وقد جاء التصريح بسماع الأموات في نصوص السُّنَّة، والأصل في ذلك سماع أهل القليب لخطاب النبي صلّى الله عليه وسلّم إياهم يوم بدر، قال أبو طلحة رضي الله عنه: كان النبي صلّى الله عليه وسلّم إذا قاتل قومًا فهزمهم أقام بالعرصة ثلاثًا، وإنه لما كان يوم بدر أمر بصناديد قريش فأُلقوا في قليب من قُلُب بدر خبيث منتن، قال: ثم راح إليهم ورحنا معه، ثم قال: «يا أبا جهل بن هشام، ويا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا وليد بن عتبة، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًّا» قال: فقال عمر: يا رسول الله، أتكلم أجسادًا لا أرواح فيها؟ قال: «والذي بعثني بالحق ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»[(٣)].

٣-وقال صلّى الله عليه وسلّم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في السلام على أهل القبور: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[(٤)].

---

(١) انظر: مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية (١٨١).

(٢) زاد المسير (٢٢٧/٣) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٧هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٣٩٧٦)، ومسلم (كتاب صفة الجنة ونعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٥)، وأحمد (٥١٠/٥) [دار الفكر، ط١، ١٤١١هـ]، واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الطهارة، رقم ٢٤٩).

وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل.

٤-وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إن لله عزّ وجل ملائكة سياحين في الأرض، يبلغوني من أمتي السلام»(١).

٥- وفي سماع الميت خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه بعد دفنه يقول صلّى الله عليه وسلّم: «إن الميت إذا وضع في قبره، إنه ليسمع خفق نعالهم إذا انصرفوا»(٢).

حقيقة الخلاف في سماع الأموات:

اختلف فيها المحققون من أهل العلم إلى قولين:

فمنهم من قال بمقتضى النصوص السابقة، وأن ظاهرها يدل على السماع في الجملة، ويراد به إدراك الكلام وفهمه، لا سماع ينتفع به.

وقال آخرون: إن الموتى لا يسمعون، لقول الله تعالى: {إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ *} [النمل] ، ولقوله سبحانه: {وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ *} [فاطر] .

وخلاف أهل السُّنَّة في هذه المسألة ليس مبنيًّا على قياس فاسد أو رأيٍ أو هوى؛ بل منشؤه الخلاف في فهم النصوص الواردة في الباب، فمن رأى أنها تدل على عدم سماع الأموات قال بذلك، وردَّ على من قال بسماعها من حيث الجملة، ومن ثمَّ إبطالُ ما يستدل به بعضهم من أن الأموات يسمعونهم فيجيبونهم إلى ما يريدون، فأبطل القائلون بعدم السماع المسألةَ من أصلها، وقالوا لهؤلاء: إن الأموات لا يسمعون، فمن السفه في العقل أن تعتقدوا استجابتهم لكم.

---

(١) أخرجه النسائي (كتاب صفة الصلاة، رقم ١٢٨٢)، وأحمد (١/٣٨٧، ٤٤١، ٤٥٢) [مؤسسة قرطبة، مصر (مصورة عن الطبعة الميمنية)]، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨١٦)، وابن حبَّان في صحيحه (كتاب الرقائق، رقم ٩١٤)، والحاكم في مستدركه (كتاب التفسير، رقم ٣٥٧٦) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٧٤)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٠)، واللفظ له.

وأما من رأى من أهل السُّنَّة أن الأموات يسمعون في الجملة، فإنهم قالوا: إن هذا سماع إدراك وفهم لا سماع معتاد ينتفع به صاحبه، وعلى هذا فلا مدخل لكثير من أهل البدع في تسويغهم اللجوء إلى الموتى ودعائهم وعبادتهم؛ لأنهم لا يستجيبون لهم، فحال هؤلاء كحال من قصَّ الله علينا، قال الله سبحانه: {...ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ *} [فاطر] (١).

ومن الأمور المهمة أنه ينبغي أن لا يغيب عن الذهن أن «الميت ـ وإن سمع الكلام وفقه المعنى ـ فإنه لا يمكنه إجابة الداعي، ولا امتثال ما أمر به، ونُهي عنه، فلا ينتفع بالأمر والنهي»(٢).

وفي هذا أبلغ الرد على طوائف أهل البدع ممن يزعمون أن الأموات يسمعون سماعًا مطلقًا، وأنهم إذا دُعوا أجابوا، وإذا استُغيثوا أغاثوا، وإذا استُنصروا نصروا.

وقال عبد الحي اللّكنوي: «لم يثبت شرعًا أنّ الأولياء لهم قدرةٌ على سماع النداء من أمكنة بعيدة، إنما ثبت سماع الأموات لتحية من يزور قبورهم، ومَنْ اعتقدَ أنّ غير الله سبحانه وتعالى حاضرٌ وناظر، وعالمٌ للخفيّ والجليّ في كلّ وقت وفي كلّ آن، فقد أشرك»(٣) أي: الشرك الأكبر الذي حذرت منه الأنبياء عليهم السلام، والذي توعد الله ـ تعالى ـ أهله بوعيد شديد حيث قال سبحانه: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ} [المائدة: ٧٢] .

---

(١) انظر: التذكرة للقرطبي (٤٠٩/١)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٢٠٦/١٧)، ومجموع الفتاوى (٣٦٣/٢٤، ٢٩٨/٤)، واقتضاء الصراط المستقيم (٧٤٢/٢)، والروح لابن القيم (٤٥)، والآيات البينات في عدم سماع الأموات للآلوسي، وأضواء البيان للشنقيطي (٤٢١/٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٦٤/٢٤).

(٣) فتاوى اللكنوي (٢٦٤/١) [دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠١م].

ولا يصح الاستدلال بحديث تلقين الميت بعد الدفن على سماع الأموات؛ لكونه باطلاً[١].

ولا بحديث عرض الأعمال على النبي صلّى الله عليه وسلّم بعد موته؛ لكونه باطلاً أيضًا[٢].

عرض أعمال الأحياء على الأموات:

مِن أصحّ ما ورَدَ -مما يتعلّق بهذا المعنى- حديث: (إنّ الميت ليعذّب ببكاءِ أهلهِ عليه)[٣].

ووجه الدلالة منه: أن بكاء الأهل يعرض على الميت ويطلع عليه؛ ويعذب به. والله أعلم

كذلك ثبتَ أنّ الرّسولَ —صلّى اللهُ عليه وسلّم- تُعرضُ عليهِ صلاةُ أمّتهِ وسلامُهم عليهِ — صلّى الله عليه وسلّم-. وسيأتي ذكر الحديث قريباً .

وأما ما روي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبْشَرُوا بِهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، قَالُوا: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُمْ، حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا»[٤] فهو حديث ضعيف لا يعول عليه.

وممن ضعفه الشيخ ابن باز — رحمه الله-[٥] .

عرض الأعمال على النبي صلّى الله عليه وسلّم:

لقد ورد في الحديث الصحيح أن النبي صلّى الله عليه وسلّم حث أُمته على الإكثار من الصلاة عليه صلّى الله عليه وسلّم يوم الجمعة، وأن هذه الصلاة تعرض عليه صلّى الله عليه

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٩٨/٨) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٦٤/٢) [دار المعارف، ط١، ١٤١٢هـ]، وقال: «منكر»، وعزاه إلى القاضي الخلعي، وذكر طائفةً ممن ضعفه من أهل العلم.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٩٤/٢) [دار صادر، ط١]، والبزار في مسنده (٣٠٨/٥) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٩٧٥).

(٣) رواه البخاري (١٢٨٦) ومسلم (٩٢٨) مِن حديث ابن عمر —رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه أحمد (١٢٦٨٣)، وعبد الله في «السنة» (١٤٥٥).

(٥) انظر: فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (٢/ ١٠٦).

وسلّم، يقول النبي صلّى الله عليه وسلّم: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي»[1].

وقد بوَّب عليه النسائي عند ذكره للحديث رقم (١٣٧٤) بقوله: «إكثار الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم يوم الجمعة».

وبوب ابن حبان ـ كما في الإحسان ـ للحديث رقم (٩١٠) بقوله: «بيان بأن صلاة من صلى على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم من أمته تعرض عليه في قبره».

وفي الباب عن ابن مسعود مرفوعًا: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أُمتي السلام»[2].

وأما حديث: «حياتي خير لكم تُحَدِّثُونَ وَيُحَدَّثُ لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم»[3] فإنه حديث ضعيف، لا يصح الاعتماد عليه.

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٠٤٧)، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٣٧٤)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها، رقم ١٠٨٥)، وأحمد (٨٤/٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب الصلاة، رقم ١٦١٣)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٩١٠)، وصحَّحه النووي في الأذكار (١١٥) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٢٧).

(٢) أخرجه النسائي (كتاب صفة الصلاة، رقم ١٢٨٢)، وأحمد (٣٨٧/١، ٤٤١، ٤٥٢) [مؤسسة قرطبة، مصر (مصورة عن الطبعة الميمنية)]، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨١٦)، وابن حبَّان في صحيحه (كتاب الرقائق، رقم ٩١٤)، والحاكم في مستدركه (كتاب التفسير، رقم ٣٥٧٦) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٥٣).

(٣) أخرجه البزار. انظر: كشف الاستار (رقم ٨٤٤)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١٩٤/٢) [دار صادر، ط١]، والقاضي إسماعيل بن إسحاق في فضل الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم (٣٨، ٣٩) [المكتب الإسلامي، ط٣]، والحارث بن أبي أسامة في مسنده ـ كما في بغية الباحث للهيثمي (كتاب علامات النبوة، رقم ٩٥٣) ـ، من طرق عن بكر بن عبد الله المزني مرسلاً. وهذا إسناد ضعيف لإرساله، كما ذكر ابن عبد الهادي، ووافقه الألباني. انظر: الصارم المنكي (٢٠٣ ـ ٢٠٤) [مؤسسة

فالظاهر من حديث: «إن من أفضل أيامكم» ، وحديث ابن مسعود أن الذي يعرض على النبي صلّى الله عليه وسلّم إنما هو الصلاة والسلام، وأما غيرها فلم يدل الدليل الصحيح الصريح على أنها تعرض على النبي صلّى الله عليه وسلّم.

وإذا لم يثبت من عرض الأعمال في حق النبي صلى الله عليه وسلم إلا الصلاة والسلام فغير النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة – أي عدم عرض الأعمال عليه- من باب الأولى.

وقال جماعة من أهل العلم بعرض أعمال الأحياء على الأموات.

وليس في هذا الباب شيء يعتمد عليه، فالعبرة بالدليل .

ولو صح ما يذكر في هذا الباب فلا مستمسك فيه لأهل البدع الذين يبيحون نداء الموتى والاستغاثة بهم. كما تقدمت الإشارة إلى ذلك في مسألة سماع الأموات. والله أعلم

حكم تلاوة القرآن على القبور، وحكم أخذ الأجرة أو الرزق على ذلك:

لا تُشْرَع قراءةُ القرآنِ على القَبرِ، وهو مَذهَب المالِكيَّة، وقَوْلُ أبي حنيفة، وروايةٌ عن أحمد، واختيارُ ابنِ تيمِيَّة، وابنِ بازٍ، وابنِ عثيمينَ.

الأدلَّة:

أوَّلًا: من السُّنَّة

١- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عنها قالت: ((أَلَا أُحَدِّثُكم عنِّي وعن رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، قلنا: بلى.. الحديث، وفيه: قالت: قلْتُ: كيف أقولُ لهم يا رسولَ الله؟ قال: قولي: السَّلامُ على أهلِ الدِّيارِ من المؤمنينَ والمسْلمينَ، ويَرْحَمُ اللهُ المسْتَقْدمينَ مِنَّا والمسْتَأْخرينَ، وإنَّا إن شاءَ الله بكم لَلاحقونَ)).

وَجهُ الدَّلالةِ:

الريان، ط١]، والسلسلة الضعيفة (رقم ٩٧٥). وللحديث طرق أخرى واهية. انظر: السلسلة الضعيفة (رقم ٩٧٥).

أنَّ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها سألَتْه عمَّا تقول إذا زارَتِ القبورَ، فعَلَّمَها السَّلامَ والدُّعاءَ، ولم يُعَلِّمْها أن تقرأَ الفاتحةَ أو غيرَها مِنَ القُرآنِ، فلو أنَّ القراءةَ كانت مشروعةً لَمَا كَتَمَ ذلك عنها، كيف وتأخيرُ البيانِ عن وقت الحاجَةِ لا يجوزُ؛ كما تقرَّرَ في عِلْمِ الأُصولِ، فكيف بالكِتمانِ ؟!

٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم: ((لا تَجعلوا بيوتَكم مقابرَ؛ إنَّ الشيطانَ يَنفِرُ من البيتِ الذي تُقرأُ فيه سورةُ البَقَرةِ)).

وَجهُ الدَّلالةِ:

أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم رَغَّبَ في قراءةِ البقَرَةِ في البيتِ، ونهى عن جَعْلِها كالمقابِرِ؛ فدَلَّ على أنَّ المقابِرَ ليست مَوْضِعَ قراءةٍ.

ثانيًا: لأنَّه لم يَثبُتْ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قرأ سورةً من القرآنِ أو آياتٍ منه للأمواتِ، مع كثرَةِ زيارَتِه لقبورهم، ولو كان ذلك مشروعًا لَفَعَله، وبيَّنَه لأصحابِه؛ رغبةً في الثَّوابِ، ورحمةً بالأمَّةِ، وأداءً لواجِبِ البلاغِ، فلَمَّا لم يفعَلْ ذلك مع وجودِ أسبابِه، دَلَّ على أنَّه غيرُ مشروعٍ.

ثالثًا: لأنَّه لم يُنقَلْ عن أَحَدٍ من السَّلَفِ مثلُ ذلك[1].

وإذا ثبت عدم مشروعيته فإن أخذ الأجرة عليه ممنوع أيضاً؛ لما فيه من الإعانة على البدع والتكسب بطريق غير شرعية. والله أعلم

وسيأتي تفصيل ومزيد بيان عند مسألة انتفاع الأموات بسعي الأحياء إن شاء الله.

الرد على منكري عذاب القبر ونعيمه:

المخالفون لأهل السُّنَّة في هذا الباب على مراتب:

١ . منهم من أنكر عذاب القبر ونعيمه بالكلية.

---

(١) انظر: الموسوعة العقدية- الدرر السنية [موقع الكتروني]:
https://dorar.net/feqhia/2032 تم الاطلاع في ١٤٤٥/٣/١٥.

٢ ـ ومنهم من قال بوقوعه على الروح فقط.

٣ ـ ومنهم من قال بوقوعه على البدن.

٤ ـ ومنهم من قال بوقوع العذاب للكافرين، والنعيم للمؤمنين[١].

فهم بعض المعتزلة[٢]، والروافض[٣]، والخوارج[٤]، والقرآنيون[٥].

وسيكون الرد عليهم مجملاً ومفصلاً ومذيلاً بذكر بعض شبههم والرد عليها:

أولاً– الرد المجمل :

الجواب على المنكرين على وجه الإجمال: إن عذاب القبر ونعيمه قد جاء به القرآن الكريم، والسُّنَّة الصحيحة المتواترة، وأجمع عليه السلف الصالح، فلا يجوز إنكاره.

ثانياً– الرد المفصل:

أولاً: إن علم البشرية واطلاعها على واقع البرزخ ـ حسًّا أو مشاهدةً ـ يترتب عليه عدة مفاسد، لعل من أبرزها:

١ ـ عدم التدافن، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: « لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر»[١].

---

(١) انظر: رسائل الآخرة (١/٢٢٥ ـ ٢٦٠).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/١٦٦) [المكتبة العصرية، ط١٤١١هـ]، والإبانة عن أصول الديانة (١٣، ١٤) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ]، والفصل لابن حزم (٤/١١٧) [دار الجيل، ط١٤٠٥هـ]، وعقائد الثلاث وسبعين فرقة (١/٣٥٢، ٤١٦) [مكتبة العلوم، ط١، ١٤١٤هـ]، وفتح الباري (٣/٢٧٥) [دار الفكر].

(٣) انظر: عقائد الثلاث وسبعين فرقة (١/٤٥٢)، ولطوائفها في ذلك تأويلات فاسدة، انظر: الإسماعيلية المعاصرة (٩٤) [ط١، ١٤١٤هـ]، والبابية عرض ونقد (٢٠٥) [دار ترجمان السُّنَّة، ط٦، ١٤٠٤هـ].

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/١١٦)، والفصل (٤/١١٧)، وفتح الباري (٣/٢٧٥).

(٥) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السُّنَّة (٣٣٣) [مكتبة الصديق، ط١، ١٤٠٩هـ].

وفي هذا من المفاسد ما لا يخفى، وتأكيدًا لذلك قال ابن القيِّم: «والعبد أضعف بصرًا وسمعًا من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر، وكثيرٌ ممن أشهده الله ذلك صعق وغشي عليه ولم ينتفع بالعيش زمنًا، وبعضهم كشف قناع قلبه فمات»(٢).

٢ ـ انتفاء حكمة الإيمان بالغيب، وهي حدوث التمايز بين المؤمنين به والكافرين، قال ابن القيِّم: «جعل الله أمر الآخرة وما كان متصلاً بها غيبًا، وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار، وذلك من كمال حكمته، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم»(٣).

ثانيًا: إن قياس أحوال البرزخ بأحوال الدنيا غير صحيح؛ لأنه قياس لأمر أخروي غيبي بأمر دنيوي حسي، وهذا قياس فاسد؛ لاختلاف ما بين الدارين، فما يقع في دار البرزخ ليس من جنس المعهود لنا في دار الدنيا وإن اتفقت الأسماء، إذًا الاتفاق في أسماء ما في الدارين لا يوجب التماثل في مسمياتهما، «فليست النار كالنار، ولا السعة كالسعة، ولا الضيق كالضيق؛ بل بينهما تباين شاسع لا يدرك بعقل، ولا حس، ولا مشاهدة، قال ابن القيِّم: «النار التي في القبر والخضرة، ليست من نار الدنيا، ولا من زروع الدنيا، فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرها، وإنما هي من نار الآخرة وخضرها»(٤).

ثالثًا: عدم الوجدان لا يعني عدم الوجود، وهذا دليل على قصور العقل ومحدودية إدراك البشر، والذين أمّروا العقل وجعلوا له سلطانًا في النفي والإثبات، فما أدركه العقل من أمور البرزخ أثبتوه وما لم يدركه نفوه، قد نسوا قصوره وعجزه عن الإحاطة بكل شيء جملة وتفصيلاً، ونسوا أن له حدًّا لا يتجاوزه ولا يتعداه.

ومما يثبت قصور العقل، وعدم إدراكه لكل شيء على التمام والكمال: وجود الجن والشياطين، والملائكة، والروح وهي عوالم غيبية أخبرنا الوحي من شأنها الكثير، ويعجز

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٨).

(٢) الروح (١٢٥).

(٣) المصدر السابق (١١٥).

(٤) المرجع السابق (١١٨).

الإنسان عن أدراك الكثير من شأنها، فإذا كان الأمر كذلك فعجزه عن إدراك عالم البرزخ من باب أولى.

وأيضًا هناك مخلوقات موجودة نلمس أثرها، ولا نراها بأعيننا المحدودة؛ كالموجات الصوتية، والتيار الكهربائي، والأشعة الضوئية المنظورة وغير المنظورة، فقد «قرر علماء الضوء أخيرًا: أنه توجد أشعة غير منظورة مع الأشعة المنظورة لذلك فقد ظهر لفظ الطاقة المشعة، لتدل على جميع أشكال الإشعاع، سواء كانت مرئية أم غير مرئية»(١).

وأيضًا هناك مخلوقات موجودة أقل عقلاً من الإنسان، ولها من القدرات الحسية ما ليس له، فقد تحقق العلماء من قدرة بعض الأحياء على رؤية ما لا نراه، فالنحل يرى الأشعة فوق البنفسجية، ولذلك فإنه يرى الشمس حال الغيم، والبومة ترى الفار في ظلمة الليل البهيم(٢).

بل إن بعض الحيوانات له أجهزة حسية لا نعلمها، يدرك بها حدوث الزلازل والعواصف وانفجار البراكين قبل أن يحسها الإنسان(٣)، وذلك أن الخالق سبحانه قد خص كل مخلوق بخصيصة تميزه عن غيره من المخلوقات.

وأخيرًا؛ فوجود اللذة أو الألم عند النائم أو اليقظان دون شعور الآخرين بها يدل على قصور القدرات البشرية عن إدراك كل شيء على التمام والكمال.

وبعد هذه الأمثلة المختصرة التي تثبت عجز الإنسان وضعفه، ومحدودية قدراته وإمكاناته، فإنه لا يجوز لناطق أن ينكر عالم البرزخ وأحواله، بدعوى مخالفة المعقول وعدم الحس أو المشاهدة، ولا يصر على ذلك إلا مكابر معاند.

رابعًا: إن أحوال البرزخ ليست من الغيب الكلي، فإذا كان المنكرون لم يشاهدوها، فقد شاهدها غيرهم؛ وقد تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع عذاب القبر وشاهد بعض

---

(١) انظر: عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي (٦٢) [مكتبة الوادي، ط١، ١٤٠٨هـ]، والقرآن والعلم الحديث ١٤٨) [دار الكتاب العربي].

(٢) انظر: عالم الجن والشياطين (١٦) [دار النفائس، ط١٥، ١٤٢٣هـ].

(٣) انظر: دراسات في النفس الإنسانية (١١٧) [دار الشروق، ط٦، ١٤١٣هـ].

عذاب المعذبين في قبورهم، وأخبر بذلك ، وهو الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم. وهذا كافٍ في رد دعوى هؤلاء المنكرين.

خامسًا: إن الأخبار الواردة في البرزخ لا تحيلها العقول، ولا توجب الطعن في ناقليها، فكل خبر يظن أن العقل يحيله، فلا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون الخبر كذبًا، وإما أن يكون ذلك العقل فاسدًا(١).

فإذا سلم الخبر من الثلب، وكان صحيحًا ثابتًا، فلم يبقَ إلا أن نتهم العقل بالفساد والكساد، لا سيما أنه لا تعارض بين معقول صريح ونقل صحيح، كما قرره العلماء(٢).

وأما طعنهم في ناقلي تلك النصوص من الصحابة رضي الله عنهم، فيقال لهم: قد رضي عنهم الله ونعتهم بأجمل الصفات، وأثنى عليهم في غير ما موضع من كتابه الكريم بأحسن الثناء وأبلغه، كما في قوله عزّ وجل: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *} [التوبة] .

وقد تواترت الأخبار بذكر فضائلهم(٣)، وقد نهى النبي صلّى الله عليه وسلّم عن سبهم، وبيّن عظم فضلهم فقال صلّى الله عليه وسلّم: «لا تسبّوا أحدًا من أصحابي؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحد ذهبًا ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه»(٤).

---

(١) الروح (١١٢).

(٢) كتاب درء التعارض لابن تيمية أصل في تقرير هذه القاعدة، وانظر أيضًا: مجموع الفتاوى (٤٤٣/١٧)، و(١٧٢/٣٣)، والفتوى الحموية الكبرى (٣٤، ٣٥) [مطبعة المدني، ١٤٠٣هـ]، ومختصر الصواعق المرسلة (٩٥/١) [دار الحديث، ١٤١٢هـ]، وشرح الطحاوية (٢٢٧/١) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤٣٠/٤)، ومناهل العرفان في علوم القرآن (٣٣٧/١) [دار الفكر].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم، رقم ٣٦٧٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٤١).

والشواهد في هذا الباب كثيرة، وأكتفي بما تقدم؛ لأن عدالتهم مجمع عليها ولم يشذ عن هذا الرأي إلا المبتدعة والزنادقة، وكما قال أبو زرعة الرازي: «إذا رأيت الرجل ينتقص أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فاعلم أنه زنديق، وذلك لأن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى ذلك إلينا الصحابة، وهؤلاء (يعني: الزنادقة) يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسُّنَّة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»[(١)].

سادسًا: زعمهم أن النعيم والعذاب لا يكون إلا بعد قيام الساعة باطل؛ لأنه لا دليل عليه من كتاب أو سُنَّة أو إجماع.

ثانيًا: القائلون بوقوعه على الروح فقط:

ينسب هذا القول إلى الفلاسفة المنكرين للمعاد، وكثير من المعتزلة، وغيرهم من أهل الكلام، وطائفة من أهل الحديث، وهو اختيار أبي محمد بن حزم، وغيره[(٢)].

وهذا القول مشتمل على حق وباطل؛ أما الحق: فكونهم أثبتوا النعيم والعذاب، خلافًا للفريق الأول، وأما الباطل: فكونهم ألغَوا نصيب البدن، فجعلوا النعيم والعذاب يقعان على الروح فقط.

والصواب الذي دلَّت عليه النصوص أنهما يقعان على الروح والجسد معًا باتفاق أهل السُّنَّة، كما تقدم تقريره.

وشبهة ابن حزم قوله: «ولم يأت قط عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في خبر يصح، أن أرواح الموتى ترد إلى أجسادهم عند المساءلة، ولو صح ذلك عنه عليه السلام لقلنا به»[(٣)].

---

(١) مناهل العرفان (٣٣٦/١).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١١٦/٢)، والفصل لابن حزم (١١٧/٤)، والدرة فيما يجب اعتقاده (٢٨٢) [مطبعة المدني، ط١]، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٦٢/٤، ٢٨٢)، وشرح حديث النزول (٨٨) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٢هـ]، ولوامع الأنوار البهية (٢٥/٢٤/٢)، ولوائح الأنوار السنية (٢٦٩/٢).

(٣) الفصل (١١٩/٤).

قال ابن القيِّم في معرض الرد عليه: «فهذا من مجازفاته رحمه الله، فالحديث صحيح لا شك فيه، وقد رواه عن البراء بن عازب[١] جماعة غير زاذان»[٢].

ثالثًا: القائلون بوقوعه على البدن فقط:

قال به طائفة من المعتزلة والأشعرية[٣].

وهو قول ظاهر الفساد؛ بل هو أفسد من سابقه؛ لأن أصحابه ألغوا نصيب الروح من النعيم أو العذاب، وقصروه على البدن فقط، مع أن النصوص على خلافه تمامًا، ولذا فإنهم يجابون بما أجيب به الفريق السابق.

رابعًا: القائلون بوقوع العذاب للكافرين دون المؤمنين:

قال به بعض المعتزلة؛ منهم: أبو علي الجبائي، وابنه أبو هاشم، والبلخي، فنفوا عذاب القبر عن المؤمنين، وأثبتوه لأصحاب التخليد من الكفار والفساق على أصولهم[٤].

وهو قول باطل مبني على أصول فاسدة، ومخالف للنصوص الصحيحة المثبتة لوقوع العذاب على بعض مستحقيه من أهل الإيمان.

وأهل السُّنَّة يثبتون العذاب للكافرين، ولعصاة المؤمنين، إلا أنه مستمر بالنسبة للكافرين، ومنقطع بالنسبة لمن عذب من عصاة المؤمنين، كما قد مر.

ثالثاً : ذكر بعض شبه منكري عذاب القبر ونعيمه، والرد عليها:

أ ـ من الشبه النقلية التي أثاروها، قولهم: إن الله لم يذكر حياة القبر في قوله: {قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ} [غافر: ١١] ، وقوله: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الروح (٨٨).

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٦٢/٤)، وشرح حديث النزول (٨٨).

(٤) انظر: الروح (١٠٥)، ولوائح الأنوار السنية (١٦٤/٢)، وفتح الباري (٢٧٥/٣).

يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *} [البقرة] ، وإنما ذكر أنه يحيهم مرة في الدنيا وأخرى في الآخرة[١]. والآيتان هما عمدة من أنكر عذاب القبر من المعتزلة والخوارج ومن نحا نحوهما[٢].

ويجابون بأن مذهبهم مخالف لما عليه جمهور السلف، فالمشهور من أقوال المفسرين في الموتتين والحياتين: أن المراد بالموت، الأول: العدم السابق، وبالثاني: الموت المعهود في الدار الدنيا. والمراد بالإحياء الأول: حياة الدنيا، وبالثاني: البعث للقيامة الكبرى.

وقد رجح هذا القول الطبري[٣]، وابن الجوزي[٤] ونسبه لابن عباس، وقتادة، والفراء، وثعلب، والزجاج، وابن الأنباري، وهو قول ابن كثير[٥]، وعليه جمهور السلف[٦].

وعلى هذا القول فإنه ليس فيه ما ينفي حياة القبر؛ لأن إثبات الموتتين والحياتين المذكورتين في الآيتين لا ينفي وجود غيرهما، كما دلَّ عليه قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} [البقرة: ٢٣٤] ، فأثبت لهم حياة زائدة يتبعها موت، والدلائل القرآنية في هذا المعنى كثيرة.

وأيضًا فحياة القبر، وعود الروح إلى الجسد للمساءلة، وما يتبع ذلك من العذاب أو النعيم قد ثبت بصحيح السُّنَّة، فلا يجوز إنكاره.

ولا بد من الجمع بين نصوص الكتاب والسُّنَّة، والأخذ بهما معًا دون تفريق، كما فعل جمهور السلف المفسرون لمعنى الآيتين الآنفتين.

ب ـ ومن شبههم العقلية، قولهم: إن حياة البرزخ تخالف المعقول، ولا تدرك بالحس أو المشاهدة.

---

(١) انظر: تفسير الرازي (١٦٦/١) [دار الفكر، ط٣، ١٤٠٥هـ]، والفصل (١١٧/٤).

(٢) انظر: الفصل (١١٧/٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٢٥/١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ].

(٤) انظر: زاد المسير (٥٧/١) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٥) تفسير القرآن العظيم (٦٨/١).

(٦) انظر: فتح القدير (٤٨٤/٤) [دار الفكر، ١٤٠٣هـ].

فهم يزعمون أن تعذيب الميت محال؛ لأنه جماد لاحياة له ولا إدراك، وهو محال؛ لأنهم لم يدركوه بحس ولا مشاهدة[١]، ولذا فكل حديث يخالف عقولهم القاصرة، ينفونه ويقطعون بتخطئة ناقله[٢]، ويزعمون أن النعيم أو العذاب لا يكون إلا بعد قيام الساعة الكبرى[٣].

وهذه الشبهة العقلية التي أثارها بعض المعتزلة هي شبهة الخوارج، والروافض، والقرآنيين[٤]، وهي شبهة الملاحدة والزنادقة عمومًا؛ إذ يقولون: باستحالة ضيق القبر وسعته، وكونه حفرة من حفر النيران، أو روضة من رياض الجنة، وأن الميت يُجلس في قبره ويُسئل، ويقولون لو وضعنا على صدره زئبقًا، ثم كشفنا عنه لوجدناه كما كان، وزعموا أنهم لم يجدوا ملائكة يضربون بمطارق من حديد، ويعذبون الناس[٥].

فهم أشبه بالذين لا يعترفون إلا بالمحسوسات[٦]، والذين ينكرون ما لا تدركه حواسهم، وما لا يمكن أن يدخل المعمل، ويخضع لآلة البحث والتجريب[٧].

اطلاع الأحياء على حياة البرزخ: دار البرزخ من الغيب النسبي الذي يمكن أن يدرك بالحس والمشاهدة؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله سبحانه وتعالى أن يسمعكم من عذاب القبر»[١] ، فذكر عذاب القبر وعلة عدم السماع.

---

(١) انظر: الأصول الإيمانية لدى الفرق الإسلامية (٤٨٠) [دار المعرفة الجامعية، ط١، ١٤١٤هـ]، وشرح العقيدة الواسطية لهراس (١٤٤) [الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة، ط٥، ١٤١١هـ].

(٢) انظر: الروح (١٠٢)، ولوائح الأنوار السنية (١/١٦٠).

(٣) انظر: عقائد الثلاث وسبعين فرقة (١/٤١٦)، ولوائح الأنوار السنية (٢/٢٧٠).

(٤) انظر: القرآنيون وشبههم حول السُّنَّة (١٣٣، ١٣٤).

(٥) انظر: الروح (١١١)، ولوائح الأنوار (٢/١٦٠)، ولوامع الأنوار (٢/٢٠)، ومجموع فتاوى ابن عثيمين (٥/١٣٤) [دار الوطن، ١٤١٣هـ]، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان (٢١٢) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١١هـ].

(٦) مثل: الدهرية، انظر: دائرة المعارف الإسلامية (٩/٣٣٨) [دار الفكر].

(٧) مثل: أهل التنوير أو التجريب. انظر: الإنسان بين المادية والإسلام (٤٧ . ٥٤) [دار الشروق، ط١٠، ١٤٠٩هـ]، والعصرانية في حياتنا الاجتماعية (٢٥) [دار المسلم، ط١، ١٤١٥هـ].

وفي حديث أم مبشر قالت: دخل عليَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنا في حائط من حوائط بني النجار فيه قبور منهم، قد ماتوا في الجاهلية، فسمعهم وهم يُعَذَّبون، فخرج وهو يقول: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» قالت: قلت: يا رسول الله، وإنهم لَيُعَذَّبون في قبورهم؟ قال: «نعم، عذابًا تسمعه البهائم»[٢].

وتقدم في النصوص حصول ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو كافٍ في إثبات إمكان ذلك .

وأما غير النبي صلى الله عليه وسلم فالإمكان موجود؛ لكن حصوله يتوقف على الدليل وخبر الثقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– : (وما كُشِفَ لِلإنسانِ من ذلك أو أخبَرَه به مَن هو صادِقٌ عِندَه، فهَذا يَنتَفِعُ به مَن عَلِمَه، ويَكونُ ذلك مِمَّا يَزيدُه إيمانًا وتَصديقًا بما جاءَت به النُّصوصُ، ولَكِن لا يَجِبُ على جَميعِ الخَلقِ الإيمانُ بغَيرِ ما جاءَت به الأنبياءُ؛ فإنَّ اللَّهَ عزَّ وجَلَّ أوجَبَ التَّصديقَ بما جاءَت به الأنبياءُ، كَما في قَولِه تعالى: قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ الآية. وقال تعالى: وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ... فلِهَذا لا يَعتَمِدُ أهلُ العِلمِ والإيمانِ في مِثلِ مَسائِلِ العِلمِ والدِّينِ إلَّا على نُصوصِ الكِتابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ الأمَّةِ، وإن كانَ عِندَهم في بَعضِ ذلك شَواهِدُ وبَيناتٌ مِمَّا شاهدوه ووجَدوه ومِمَّا عَقلوه وعَمِلوه، وذلك يَنتَفِعونَ به هم في أنفُسِهم، وأمَّا حُجَّةُ اللَّهِ تعالى على عِبادِه فهم رُسُلُه)[٣] والله أعلم.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٥٩٢/٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١٢٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٥٦/٣) [مكتبة القدسي]: «رجاله رجال الصحيح». وصححه الألباني على شرط مسلم. انظر: السلسلة الصحيحة (رقم ١٤٤٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٧٦/٢٤).

زيارة القبور المشروعة والممنوعة:

أولاً– حكم زيارة القبور: اتفق العلماء على أنه صلّى الله عليه وسلّم كان نهى عن زيارة القبور؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»(١).

واختلفوا هل نسخ ذلك؟ على أقوال:

فقالت طائفة: لم ينسخ ذلك؛ لأن أحاديث النسخ ليست مشهورة.

وقال الآخرون: بل نسخ ذلك، واختلفوا: فقالت طائفة منهم: إنما نسخ إلى الإباحة، وهذا قول في مذهب مالك وأحمد.

وقال الأكثرون: زيارة قبور المؤمنين مستحبة للدعاء للموتى مع السلام عليهم، وحكى النووي الإجماع على ذلك(٢).

والأقوال الثلاثة صحيحة باعتبار؛ فإن الزيارة إذا تضمنت أمرًا محرمًا من شرك أو كذب أو ندب أو نياحة فهي محرمة بالإجماع.

وأما زيارتها للدعاء للميت كالصلاة على الجنازة، وتذكر الآخرة، فهذا هو المستحب الذي دلَّت السُّنَّة على استحبابه؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم فعله، وكان يعلِّم أصحابه ما يقولون إذا زاروا القبور(٣).

ثانياً–أقسام زيارة القبور:

مما سبق يتبين لنا أن زيارة القبور ثلاثة أقسام:

١ – زيارة شرعية: وهي ما تضمنت مقصداً شرعياً مثل السلام على الموتى والدعاء لهم، وتذكر الآخرة، وهو مثل الصلاة على جنائزهم.

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٧).

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (٤٦/٧ ـ ٤٧) [دار الفكر، ١٤٠١هـ]، مجموع الفتاوى (٣٧٦/٢٧ ـ ٣٧٩).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٧٦/٢٧ ـ ٣٧٩) بتصرف، والجواب الباهر في زوار المقابر (٦٢ ـ ٦٣) [دار القلم، ط١، ١٤٠٦هـ].

٢ – زيارة شركية: وهي زيارة أهل الشرك الذين يقصدون دعاء الميت والاستعانة به، وطلب الحوائج عنده، فيصلون عند قبره، ويدعون به.

٣– زيارة بدعية: وهي الزيارة التي تتضمن البدع كالتوسل بجاه الميت، أوالتبرك بقبره، أو اعتقاد أن الدعاء عند القبور مستجاب ونحو ذلك مما خرج عن حد المشروع ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر. (١).

انتفاع الأموات بسعي الأحياء:

مجمل كلام أهل العلم في هذا الباب يدور في إثبات عموم الانتفاع، ويتفاوتون في التمثيل:

قال الطحاوي رحمه الله: «وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات»(٢).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وأما القراءة والصدقة وغيرهما من أعمال البر، فلا نزاع بين علماء السُّنَّة والجماعة في وصول ثواب العبادات المالية؛ كالصدقة والعتق، كما يصل إليه أيضًا الدعاء، والاستغفار، والصلاة عليه صلاة الجنازة، والدعاء عند قبره. وتنازعوا في وصول الأعمال البدنية: كالصوم، والصلاة، والقراءة، والصواب: أن الجميع يصل إليه، فقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي صلّى الله عليه وسلّم؛ أنه قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه» ، وثبت أيضًا أنه: «أمر امرأة ماتت أمها وعليها صوم أن تصوم عن أمها»(٣)، وفي المسند عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال لعمرو بن العاص رضي الله عنه: «لو أن أباك

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٢٦/٢٤)، والجواب الباهر (٣٢)، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٥١٥).

(٢) شرح الطحاوية (٤٥٢) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصيام، رقم ١١٤٨).

أسلم فتصدقت عنه، أو صمت، أو أعتقت عنه؛ نفعه ذلك»[١]، وهذا مذهب أحمد، وأبي حنيفة، وطائفة من أصحاب مالك، والشافعي»[٢].

وقال محمد بن مفلح رحمه الله: «كل قربة فعلها المسلم وجعل ثوابه للمسلم نفعه ذلك، وحصل له الثواب؛ كالدعاءِ، والاستغفارِ، وواجبٍ تدخله النيابة، وصدقة التطوع، وكذا العتق، ذكره القاضي وأصحابه أصلاً، وذكره أبو المعالي، وشيخنا، وصاحب المحرر. وكذا حج التطوع، وفي المجرد: من حج نفلاً عن غيره وقع عمن حج؛ لعدم إذنه، وكذا القراءة والصلاة والصيام. ونقل الكحّال في الرجل يعمل شيئًا من الخير من صلاة أو صدقة أو غير ذلك ويجعل نصفه لأبيه أو أمه: أرجو، وقال: الميت يصل إليه كل شيء من الخير من صدقة أو صلاة أو غيره»[٣].

وقال إبراهيم بن مفلح رحمه الله: «وأي قربة فعلها: من دعاء، واستغفار، وصلاة، وصوم، وحج، وقراءة، وغير ذلك، وجعل ثواب ذلك للميت المسلم نفعه ذلك»[٤].

ثم ذكر قول أحمد الآنف.

وكلام العلماء وأقوالهم في المسألة في القديم والحديث كثير.

ويتحرر كلام العلماء السابق وما شابهه بالتفصيل الآتي من خلال بيان المسائل الآتية:

المسألة الأولى: ينتفع الميت بالأعمال التي تسبب فيها قبل موته:

لقوله تعالى: {وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ} [يس: ١٢] ، ولقوله تعالى: {وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى *} [النجم] ، ولقوله صلّى الله عليه وسلّم: «من دعا إلى هدى كان له من

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الوصايا، رقم ٢٨٨٣)، وأحمد (٣٠٧/١١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الهيثمي في المجمع (١٩٢/٤) [مكتبة القدسي]: «فيه الحجاج بن أرطاة، وهو مدلس»، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (١٧٣) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٢) الفتاوى الكبرى (٦٣/٣) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٣) الفروع وتصحيح الفروع (٢٣٩/٢) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٤) المبدع شرح المقنع [دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ].

الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»[١]،

وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «من سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سَنَّ في الإسلام سُنَّة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[٢]. وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علمًا علمه ونشره، وولدًا صالحًا تركه، ومصحفًا ورثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته»[٣].

المسألة الثانية: ينتفع الميت بدعاء المسلمين له، واستغفارهم له، وثناؤهم عليه:

وهذا له صور:

١ ـ الدعاء العام المطلق، كما في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ *} [الحشر] ، وكما في قوله صلّى الله عليه وسلّم: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلّما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل»[٤]. وهذا الدعاء ينتفع به الحي والميت على حدٍّ سواء.

٢ ـ الدعاء له قبل الصلاة عليه وقبل الدفن، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «إذا حضرتم الميت، فقولوا خيرًا، فإن الملائكة تُؤَمِّنُ على ما تقولون» ، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: يا

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٧٤).

(٢) المصدر السابق (كتاب الزكاة، رقم ١٠١٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ٢٤٢)، وابن خزيمة في صحيحه (كتاب الزكاة، رقم ٢٤٩٠)، وحسنه ابن الملقن في البدر المنير (١٠٢/٧) [دار الهجرة، ط١]، والألباني في أحكام الجنائز (١٧٧) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٣٣).

رسول الله ما أقول؟ قال: «قولي: اللَّهُمَّ اغفر له وأعقِبنا عقبًا صالحًا» ، قالت: فأعقبني الله محمدًا صلّى الله عليه وسلّم[١].

٣ ـ الدعاء له عند الصلاة عليه، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «ما من ميت يصلّي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة، كلهم يشفعون له، إلا شفعوا فيه»[٢].

وعن خارجة بن زيد، عن عمه يزيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: خرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلما وردنا البقيع إذا هو بقبر جديد، فسأل عنه؟ فقيل: فلانة، فعرفها، فقال: «ألا آذنتموني بها؟» قالوا: يا رسول الله، كنت قائلاً صائمًا فكرهنا أن نؤذنك، فقال: «لا تفعلوا، لا يموتن فيكم ميت ما كنت بين أظهركم ألا آذنتموني به، فإن صلاتي عليه له رحمة» قال: ثم أتى القبر، فصفّنا خلفه، وكبَّر عليه أربعًا[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء»[٤].

٤ ـ الدعاء له بالتثبيت عند فتنة القبر، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: كان النبي صلّى الله عليه وسلّم إذا فرغ من دفن الميت، وقف عليه، فقال: «استغفروا لأخيكم، وسلوا له بالتثبيت، فإنه الآن يسأل»[١].

---

(١) المصدر السابق (كتاب الجنائز، رقم ٩١٩).

(٢) المصدر السابق (كتاب الجنائز، رقم ٩٤٧).

(٣) أخرجه النسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٢٢)، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٥٢٨)، وأحمد (١١٦/٧) [دار الفكر، ط١]، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣٠٨٧) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، وصحّحه الألباني في أحكام الجنائز (٨٩) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣١٩٩)، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٤٩٧)، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣٠٧٦)، وقال ابن حجر: «فيه ابن إسحاق، وقد عنعن، لكن أخرجه ابن حبان من طريق أخرى عنه مصرحًا بالسماع». التلخيص الحبير (٢٤٨/٢) [مؤسسة قرطبة، ط١]، وحسّنه الألباني في الإرواء (رقم ٧٣٢).

٥ ـ الدعاء له عند الزيارة والسلام؛ لحديث عائشة رضي الله عنها؛ أنها قالت: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كلما كان ليلتها من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون، غدًا مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللَّهُمَّ اغفر لأهل بقيع الغرقد»(٢).

٦ ـ الشهادة له بالخير؛ لحديث عمر رضي الله عنه؛ أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «أيما مسلم يشهد له أربعة بخير إلا أدخله الله الجنة» فقلنا: وثلاثة؟ قال: «وثلاثة» ، فقلنا: واثنان؟ قال: «واثنان» ، ثم لم نسأله عن الواحد(٣).

٧ ـ الدعاء له من الولد الصالح؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «إن الله سبحانه وتعالى ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب، أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»(٤).

المسألة الثالثة: ينتفع الميت بالصدقة عنه:

لحديث عائشة رضي الله عنها؛ أن رجلاً قال للنبي صلّى الله عليه وسلّم: إن أمي افتُلِتت نفسُها، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «نعم»(٥).

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٢١)، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٣٧٢) وصححه، وحسنه النووي في الخلاصة (١٠٢٨/٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحّحه الألباني في أحكام الجنائز (١٥٦) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٨).

(٤) أخرجه ابن ماجه (كتاب الأدب، رقم ٣٦٦٠)، وأحمد (٣٥٦/١٦) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وصحح سنده ابن كثير في تفسيره (١٤٣/٤) [دار طيبة، ط٢]، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٩٨).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٨٨)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٠٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن سعد بن عبادة رضي الله عنه توفيت أمه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله، إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، أينفعها شيء إن تصدقت به عنها؟ قال: «نعم»، قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عليها![1].

المسألة الرابعة: ينتفع الميت بقضاء الدين عنه:

لحديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه؛ أن النبي صلّى الله عليه وسلّم أتي بجنازة ليصلي عليها، فقال: «هل عليه من دين؟» قالوا: لا، فصلى عليه، ثم أتي بجنازة أخرى، فقال: «هل عليه من دين؟» ، قالوا: نعم، قال: «صلوا على صاحبكم» ، قال: أبو قتادة: عليَّ دينُه يا رسول الله، فصلى عليه[2].

وفي رواية عن جابر رضي الله عنه قال: توفي رجل فغسلناه وحنطناه وكفناه، ثم أتينا به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يصلي عليه، فقلنا: تصلي عليه فخطا خُطىً، ثم قال: «أعليه دَين؟» قلنا: ديناران، فانصرف، فتحملهما أبو قتادة، فأتيناه، فقال أبو قتادة: الديناران علي، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «قد أوفى الله حق الغريم وبرئ منهما الميت» قال: نعم، فصلى عليه، ثم قال بعد ذلك بيوم: «ما فعل الديناران؟» فقال: إنما مات أمس، قال: فعاد إليه من الغد فقال: لقد قضيتهما، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «الآن بردت عليه جلده»[3].

المسألة الخامسة: ينتفع الميت بالصيام عنه:

لحديث عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه».

---

(١) المصدر السابق (كتاب الوصايا، رقم ٢٧٥٦).

(٢) المصدر السابق (كتاب الحوالات، رقم ٢٢٩٥).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب البيوع، رقم ٣٣٤٣)، وأحمد (٤٠٦/٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والحاكم (كتاب البيوع، رقم ٢٣٤٦)، وحسنه النووي في الخلاصة (رقم ٣٣٠٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والألباني في أحكام الجنائز (١٦) [المكتب الإسلامي، ط٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن امرأة ركبت البحر، فنذرت إن نجاها الله أن تصوم شهرًا، فنجاها الله فلم تصم حتى ماتت، فجاءت ابنتها أو أختها إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأمرها أن تصوم عنها[١].

المسألة السادسة: ينتفع الميت بالحج عنه:

وورد في ذلك صورتان:

١ ـ الحج الذي نذره الميت على نفسه:

لحديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: «نعم، حُجّي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضية؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء»[٢].

٢ ـ الحج الفريضة الذي مات ولم يؤده:

لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سمع رجلاً يقول: لبّيك عن شبرمة، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من شبرمة؟»، قال: قريب لي، قال: «هل حججت قط؟» قال: لا، قال: «فاجعل هذه عن نفسك، ثم حج عن شبرمة»[٣].

المسألة السابعة: ينتفع الميت بعفو المظلوم عنه:

لقوله تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى: ٤٠] ، وقوله تعالى: {وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *} [التغابن] .

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الأيمان والنذور، رقم ٣٣٠٨)، والنسائي (كتاب الأيمان والنذور، رقم ٣٨١٦)، وأحمد (٣٥٦/٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن خزيمة (كتاب الصيام، رقم ٢٠٥٤)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (١٦٩) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٨٥٢).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب المناسك، رقم ١٨١١)، وابن ماجه (كتاب المناسك، رقم ٢٩٠٣)، والبيهقي في الكبرى (كتاب الحج، رقم ٨٦٧٥) [دار الكتب العلمية، ط٣] وقال: هذا إسناد صحيح، وصححه الألباني في إرواء الغليل (رقم ٩٩٤).

المسألة الثامنة: البر بالوالدين بعد وفاتهما:

ففي الحديث الصحيح: «إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولّي»[١].

دل الحديث على فضل صلة لأصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم وهو متضمن لبر الأب وإكرامه لكونه بسببه، وتلتحق به أصدقاء الأم وغيرهم[٢].

المسألة التاسعة: هل ينتفع الميت بثواب قراءة القرآن؟

هذه المسألة خلافية بين أهل العلم؛ فمنهم من رأى أن الميت ينتفع بها، ومنهم من لا يرى التوسع في هذا الباب[٣].

وقد صدرت فتوى للجنة الدائمة في حكم إهداء ثواب القرب للأموات عمومًا، ونصها: «لم يثبت عن النبي صلّى الله عليه وسلّم ـ فيما نعلم ـ أنه قرأ القرآن ووهب ثوابه للأموات من أقربائه أو من غيرهم، ولو كان ثوابه يصل إليهم لحرص عليه، وبيَّنه لأمته؛ لينفعوا به موتاهم، فإنه صلّى الله عليه وسلّم بالمؤمنين رؤوف رحيم، وقد سار الخلفاء الراشدون من بعده وسائر أصحابه على هديه في ذلك رضي الله عنهم، ولا نعلم أن أحدًا منهم أهدى ثواب القرآن لغيره، والخير كل الخير في اتباع هديه صلّى الله عليه وسلّم وهدي خلفائه الراشدين وسائر الصحابة رضي الله عنهم، والشر في اتباع البدع ومحدثات الأمور؛ لتحذير النبي صلّى الله عليه وسلّم من ذلك بقوله: «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» ، وقوله: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وعلى هذا لا تجوز قراءة القرآن للميت، ولا يصل إليه ثواب هذه القراءة بل ذلك بدعة.

أما أنواع القربات الأخرى فما دلَّ دليل صحيح على وصول ثوابه إلى الميت وجب قبوله؛ كالصدقة عنه، والدعاء له، والحج عنه، وما لم يثبت فيه دليل فهو غير مشروع حتى يقوم عليه الدليل.

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٥٢).

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٠٩ ـ ١١٠).

(٣) انظر: حكم القراءة للأموات؛ هل يصل ثوابها إليهم (ص٩) فما بعد [مكتبة التوعية الإسلامية، ط٥، ١٤٠٦هـ].

وعلى هذا لا تجوز قراءة القرآن للميت، ولا يصل إليه ثواب هذه القراءة في أصح قولي العلماء، بل ذلك بدعة»[١].

وكذلك جاء فيها: «لا تجوز الصلاة عن الوالدين ولا غيرهما، ولا إهداء ثواب الصلاة لهما، وما ورد من الصدقة عنهما يقتصر فيه على موضع النص فقط وهو الصدقة؛ لأن القياس لا يجوز في مثل ذلك، ولم يرد عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا عن أصحابه رضوان الله عليهم ما يدل على جواز إهداء الصلاة إلى الميت»[٢].

ومن خلال ما سبق يتضح صور الانتفاع من عدمها ، وأن المعول عليه في هذا الباب هو الدليل.

رابعا: الروح والنفس:

المراد بالروح: قال ابن فارس: «الراء والواو والحاء أصل كبير مطَّرد، يدل على سعة وفُسحة واطّراد. وأصل ذلك كلِّه الرّيح، ... فالرُّوح رُوح الإنسان، ...» [٣].

وفي كتاب «العين»: «الرُّوح: النَّفْسُ التي يحيا بها البدن، يقال: خرجت رُوحُهُ؛ أي: نَفْسُه، ويقال: خَرَجَ، فيُذَكَّرُ، والجمع أرواحٌ»[٤].

والروح اصطلاحاً: عين حادثة، مجهولة في بعض أحوالها، لطيفة، قائمة بنفسها، ذات صورة، وصفات، لا تكيف، تتصل بالبدن فيحيا، وتنفصل عنه فيتوفى، يبلى ظرفها- وهو البدن- ولا تبلى، وتسعد معه وبدونه وتشقى[٥].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٩/٤٣ ـ ٤٤)، وراجع لهذه المسألة: مجموع الفتاوى (٢٤/٣١٦، ٣٢٢، ٣٢٤)، الروح لابن القيم (٣٤٥ ـ ٣٤٦)، مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (١/٣٧٤، ٣٧٩).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٩/٦٣).

(٣) مقاييس اللغة (٢/٤٥٤) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٤) العين (٣/٢٩١) [مكتبة هلال].

(٥) انظر: الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (١/١٠٢) [رسالة دكتوراه، جامعة الإمام]بتصرف يسير.

قال ابن القيّم: «أجمعت الرسل على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة، هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل»[1].

ومن أسماء الروح: النفس، والنسمة.

إطلاقات الروح:

لفظ الروح له عدة معان غير الروح التي تفارق البدن بالموت التي هي النفس، فمن إطلاقات الروح ما يلي:

١ــ تطلق الروح على الهواء الخارج من البدن والهواء الداخل فيه.

٢ــ وتطلق على البخار الخارج من تجويف القلب من سويداه الساري في العروق.

٣ــ وتطلق الروح على جبرائيل ــ عليه السلام ــ قال ــ تعالى ــ: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ} [الشعراء: ١٩٣] .

٤ــ وتطلق على ما يؤيد الله به أولياءه من الروح، كما قال ــ تعالى ــ: {أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ} [المجادلة: ٢٢] .

٥ــ وتطلق على الروح الذي أيد الله به روحه المسيح بن مريم ــ عليه السلام ــ كما قال ــ تعالى ــ: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ} [المائدة: ١١٠] .

٦ــ وتطلق على الروح التي يلقيها الله على من يشاء من عباده.

٧ــ وتطلق الروح على القوى التي في البدن؛ فإنها تسمى أرواحاً، فيقال: الروح الباصر، والروح السامع، والروح الشامّ؛ فهذه الأرواح قوى مُوْدَعَةٌ في البدن تموت بموت الأبدان، وهي غير الروح التي لا تموت بموت البدن، ولا تبلى كما يبلى.

٨ــ ويطلق الروح على ما هو أخص مما مضى كله، وهو قوة المعرفة بالله والإنابة إليه، ومحبته، وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته.

---

(١) الروح (ص:١٤٤)، وانظر منه: (١٥٦)، وراجع: جلاء العينين للآلوسي (ص:١٦٩).

ونسبة هذه الروح إلى الروح كنسبة الروح إلى البدن؛ فإذا فقدته الروح كانت بمنزلة البدن إذا فقد روحه، وهي الروح التي يؤيد الله بها أهل ولايته.

ولهذا يقول الناس: فلان فيه روح، وفلان ليس فيه روح، وهو قصبةٌ فارغة، ونحو ذلك.

٩ــ ويطلق الروح على غير ما ذكر مما فيه معنى الحياة المعنوية، فللعلم روح، وللإحسان روح، وللإخلاص روح، وللمحبة والإنابة روح، وللتوكل والصدق روح.

والناس متفاوتون في هذه المعاني أعظم تفاوت؛ فمنهم من تغلب عليه هذه الأرواح، فيصير روحانياً، ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير بهيمياً، والله المستعان[١].

المراد بالنفس، والفرق بينها وبين الروح:

هناك من فرق بين مسمَّى الروح والنفس، وهناك من جعلهما مسميين لشيء واحد؛ أي: أنهما مترادفان.

قال ابن عبد البر: «إن العلماء اختلفوا في الروح والنفس: هل هما شيء واحد أو شيئان؟»[٢].

وقال ابن أبي العز – رحمه الله–: (وأما اختلاف الناس في مسمى النفس والروح: هل هما متغايران، أو مسماهما واحد؟ فالتحقيق: أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح، فيتحد مدلولهما تارة، ويختلف تارة. فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالب ما يسمى نفسا إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها) [٣].

والذي يظهر أن لا فرق بينهما، قال ابن تيمية: «الروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التي تفارقه بالموت»[٤].

---

(١) انظر: مصطلحات في كتب العقائد للحمد (ص: ١٣٦).

(٢) التمهيد (٢٤١/٥) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٨٧هـ].

(٣) شرح الطحاوية – ط دار السلام (ص: ٣٩٤).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨٩/٩).

وذكر ابن القيِّم: أن مسمّاهما واحد عند الجمهور، وهو اختياره[١]، وقرر: «أن الروح التي تتوفى وتقبض روح واحدة، وهي النفس»[٢].

وذكر أن هناك من خالف من أهل الحديث، والفقه، والتصوف، وطائفة من أهل الأثر، ثم استطرد في ذكر أقوالهم[٣].

وقت نفخ الروح، وأقوال الناس فيه:

اختلف الفقهاء في موعد نفخ الروح: هل هو بعد أربعين ليلة، أو بعد اثنتين وأربعين، أو بعد مائة وعشرين.

والصحيح الذي تدل له النصوص أن وقت نفخ الروح في البدن في نهاية الأربعين الثالثة أي بعد مرور مائة وعشرين يوماً على النطفة.

ويدل لذلك ما جاء في حديث الصادق المصدوق: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق، قال: " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح..." [٤]الحديث.

حكم الكلام في الروح:

ليس في نصوص الكتاب أو السُّنَّة نص يمنع الكلام في الروح بما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة لا في ذاتها ولا في صفاتها؛ بل قد جاء القرآن الكريم بالحديث عنها، وكذلك السُّنَّة، فهي مليئة بالنصوص التي تحدثت عن الروح وذكرت الكثير من صفاتها وأحوالها، فهي تتكلم، وتسمع، وتخاصم، وتتصل، وتنفصل إلى غير ذلك مما جاء به الوحي.

---

(١) انظر: الروح (٤٨٨).

(٢) المرجع السابق (٤٩٣).

(٣) انظر: المرجع السابق (٤٩١، ٤٩٢).

(٤) صحيح البخاري (٤/ ١١١) برقم (٣٢٠٨).

ومثل هذا فيه دلالة واضحة على أصل مشروعية الكلام في الروح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية لما سئل عن الروح، وهل المفوض إلى الله أمر ذاتها أو صفاتها... إلخ، قال: «أما قول السائل: هل المفوض إلى الله أمر ذاتها أو صفاتها أو مجموعهما؟ فليس هذا من خصائص الكلام في الروح؛ بل لا يجوز لأحد أن يقفو ما ليس له به علم، ولا يقول على الله ما لا يعلم، وليس في الكتاب والسُّنَّة أن المسلمين نهوا أن يتكلموا في الروح بما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، لا في ذاتها ولا في صفاتها، وأما الكلام بغير علم فذلك محرم في كل شيء»[1].

ومن ذلك الكلام في كنه الروح وصفاتها وكيفيتها فهذا لا علم لنا بها، والخوض فيه من التكلف المذموم المنهي عنه.

منزلة الروح من الغيب:

اختلف العلماء في ذلك على قولين، فمن قائل: هي غيب، ومن قائل: ليست بغيب، ومرجع ذلك إلى الاختلاف في تفسير الروح الوارد في قول تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} [الإسراء: ٨٥] ، وهل المراد به الروح الذي يقوم به البدن؟ أو شيء أخر؟

فالذين فسَّروا الروح الوارد في الآية بأنه الروح الإنساني[2] قالوا: الروح من أمر الله؛ يعني: «من علمه الذي منع أن يعرفه أحد»[1]، وكما قال الشوكاني: «قد استأثر الله بعلمها، ولم يطلع عليها أنبياءه»[2]. وعلى هذا المعنى درجت عبارات كثير من أهل العلم[3].

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة (٤/٢٣٠ ـ ٢٣١) [دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ].

(٢) وهو مذهب جمع من أهل العلم، انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٣/٢٧٤) [دار الوطن]، وحاشية محيي الدين زاده على تفسير البيضاوي (٥/٤٢٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب ٣٦٩) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، والملل والنحل (٢/٨) [دار المعرفة، ط١، ١٤١٠هـ]،، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/٥٨) [دار الجيل، ط. ١٤٠٥هـ]، وزاد المسير في

والذين فسَّروا الروح في الآية بغير الروح الإنساني كالذين فسروه بأنه ملك، وأنه المذكور في قول الحق تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفًّا لاَ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَقَالَ صَوَابًا *} [النبأ] لم يعدوا الروح من أمر الغيب.

وذكر ابن القيِّم أن أكثر السلف ـ بل كلهم ـ على أن الروح المسؤول عنها في الآية ليست أرواح بني آدم؛ بل هو الروح الذي أخبر الله عنه في كتابه أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة، وهو ملك عظيم(٤).

والعلم بالروح مذهب الجمهور كما حكاه النووي(٥)، ثم ظاهر الآية ـ على مذهب من فسَّر الروح بالروح القائم بالبدن ـ لا يدل دلالة قاطعة على أنها لا تعلم، فليست من الغيب.

والذي يظهر: أن الروح من حيث العلم بكنه ذاتها وكنه صفاتها من الغيب الذي استأثر الله بعلمه؛ أي: أنها من الغيب المطلق، وأما العلم بها من حيث كونها عيناً قائمةً بذاتها، والعلم بآثارها وصفاتها التي جاءت بها الأخبار الصحيحة، فليست من الغيب المطلق؛ بل هي من الغيب النسبي؛ لأن بعض الخلق يتعامل معها، ويطلع على شيء من أحوالها كالملائكة(٦).

علم التفسير (٨٢/٥) [المكتب الإسلامي، ط٤]، وروح المعاني (١٥٤/١٥) [دار إحياء التراث، ط٤، ١٤٠٥هـ].

(١) زاد المسير (٨٢/٥).

(٢) زبدة التفسير (٣٧٦) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ط٢، ١٤٠٨هـ].

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤٣/٨) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٢٢٤/١) [دار الريان، ط١، ١٤٠٧هـ]، وتفسير السمعاني (٢٧٥)، والإنسان في القرآن للعقاد (٢٣) [نهضة مصر للطباعة، ط١ ٢٠٠١م].

(٤) الروح (١٥١/١) [دار الكتاب العربي، ط٤].

(٥) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٣٨/١٧) [دار الكتب العلمية].

(٦) انظر: الروح في الديانات (٢٠/١ ـ ٢٤).

أنواع تعلق الروح بالبدن:

اتصال الروح بالبدن على ثلاثة أوجه[١]:

الأول: اتصالها به في الدنيا عند نفخ الروح فيه، كما جاء في حديث الصادق المصدوق صلّى الله عليه وسلّم: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد»[٢]، فبالروح تكون حياته إلى أن يموت، ولها اتصال به عند الوفاة الصغرى حال النوم، ونحوه.

الثاني: اتصالها به في البرزخ، وهذا في حال دون حال، وله صور منها: اتصالها عند السؤال، وعند النعيم أو العذاب.

الثالث: اتصالها به يوم القيامة، يوم أن ترد الأرواح إلى أجسادها، فيقع عليهما النعيم أو العذاب معًا في دارهما، في أكمل صورة.

قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه»[٣]، وذلك بعد النفخة الثانية.

وقال ابنُ أبِي العِزِّ: (الرُّوحُ لَها بالبَدَنِ خَمسةُ أنواعٍ مِنَ التَّعَلُّقِ، مُتَغايِرةُ الأحكامِ:

أحَدُها: تَعَلُّقُها به في بَطنِ الأمِّ جَنَينًا.

الثَّاني: تَعَلُّقُها به بَعدَ خُروجِه إلَى وَجهِ الأرضِ.

الثَّالِثُ: تَعَلُّقُها به في حالِ النَّومِ، فلَها به تَعَلُّقٌ من وجهٍ، ومُفارَقةٌ من وجهٍ.

---

(١) المصدر السابق (١/١٨٥ - ٢٥٢).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد (٢٥/٥٨) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وقال ابن كثير (٧/٥٥٠) [دار طيبة، ط٢]: وهذا إسناد عظيم، ومتن قويم. وأخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد رقم ٤٢٧١)، وابن حبان في صحيحه (رقم ٤٦٥٧) وقال الألباني في صحيح موارد الضمآن (١/٣٢٥): صحيح.

الرَّابعُ: تَعَلُّقُها به في البَرزَخِ، فإنَّها وإنْ فارَقَتْه وتَجَرَّدَت عنه، فإنَّها لَم تُفارِقْه فِراقًا كُلِّيًّا بحَيثُ لا يَبقَى لَها إليه التِفاتٌ البتَّةَ، فإنَّه وردَ رَدُّها إلَيه وقتَ سَلامِ المسَلِّم، ووردَ أنَّه يَسمَعُ خَفقَ نِعالِهِم حينَ يُوَلُّونَ عَنه. وهَذا الرَّدُّ إعادةٌ خاصَّةٌ لا يوجِبُ حَياةَ البَدَنِ قَبلَ يَومِ القيامةِ.

الخامِسُ: تَعَلُّقُها به يَومَ بَعْثِ الأجسادِ، وهو أكمَلُ أنواعِ تَعَلُّقِها بالبَدَنِ، ولا نِسبةَ لِما قَبلَه من أنواعِ التَّعَلُّقِ إلَيه؛ إذ هو تَعَلُّقٌ لا يَقبَلُ البَدنُ مَعَه مَوتًا ولا نَومًا ولا فسادًا، فالنَّومُ أخو الموتِ. فتأمُّلُ هَذا يُزيحُ عَنكَ إشكالاتٍ كَثيرةً)[1].

حدوث الروح، والمراد به:

المراد بحدوث الروح : أنها مخلوقة مربوبة مدبرة، فهي حادثة وليست أزلية، ولا خلاف بين المسلمين في ذلك؛ لقوله تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ *} [الرعد: ١٦] ، فهذا العموم لا استثناء فيه، فيشمل خلق الأرواح والأجساد.

وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ *فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ *} [الحجر] ، فأضاف سبحانه الروح إلى نفسه، وهي «إضافة خلق وملك إلى خالق ومالك»[2].

وقال تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا *} [الإنسان] ، فالإنسان عبارة عن مجموع الروح والبدن.

وقال صلّى الله عليه وسلّم: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[3].

فوصف الأرواح بأنها جنود مجندة، والجنود ذوات قائمة بنفسها، وهي مخلوقة.

---

(١) يُنظر: ((شرح الطحاوية)) (٢/ ٥٧٨).

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣/٣٩٠) [دار إحياء التراث، ط١، ١٤١٨هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٣٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال صلّى الله عليه وسلّم في حديث نفخ الروح في الجنين: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح»[١].

فالروح مفتقرة إلى من ينفخها، والمفتقر إلى غيره مخلوق.

وفي الجملة؛ فجميع النصوص التي أفادت أن الروح تبشر، وأنها تقبض، وتكفن، وتحنط، وتصعد، وأن لها رائحة، وأنه يصلى عليها، وأنها تنعم أو تعذب، وأنها تلاقي غيرها، وأنها تسجد إلى غير ذلك، كلها تفيد أنها مخلوقة.

وقد حكى الإجماع على حدوث الروح غير واحد من العلماء[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- عند ذكره لحديث «الريح من روح الله» : «أي: من الروح التي خلقها الله، فإضافة الروح إلى الله إضافة ملك لا إضافة وصف»[٣].

وذكر الإمام ابن القيِّم – رحمه الله- : أن الرسل أجمعت على أن الروح محدثة مخلوقة مصنوعة مدبرة، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل[٤].

وقال ابن أبي العز- رحمه الله-: «اتفق أهل السُّنَّة والجماعة أنها مخلوقة، وممن نقل الإجماع على ذلك: محمد بن نصر المروزي وابن قتيبة وغيرهما»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٣).

(٢) انظر: الفتاوى (٢١٦/٤)، والروح (٣٥١)، وفتح الباري (٤٠٤/٨)، وشرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (٤١٩) [دار ابن كثير، ط٢، ١٤١٣هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (٤٤١/١) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ]، وروح المعاني (٨/٢٤) [دار إحياء التراث، ط٤، ١٤٠٥هـ]، والمواقف في علم الكلام (٢٥٠/٧) [عالم الكتب].

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٩٠/٩).

(٤) انظر: الروح (١٤٤)، ولوامع الأنوار (٣٣/٢)، أقاويل الثقات لمرعي الكرمي (١٩١).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٣٨٥).

زمن حدوث الروح:

خلقت الأرواح بعد خلق الأجساد؛ لقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى} [الحجرات: ١٣] .

فالخطاب في الآية للإنسان الذي هو روح وبدن، فدل على أن جملته مخلوقة بعد خلق الأبوين(١).

وقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا} [النساء: ١] ، فالآية صريحة في أن خلق جملة النوع الإنساني كان بعد خلق أصله(٢).

وقوله عزّ وجل: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ *فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ *} [الحجر] ، فنفخ الروح كان بعد التسوية؛ أي: بعد خلق آدم، وتعديل صورته.

وقال صلّى الله عليه وسلّم في ابتداء خلق آدم عليه السلام: «لما نفخ الله في آدم الروح، فبلغ الروح رأسه عطس، فقال: الحمد لله ربِّ العالمين، فقال له تبارك وتعالى: يرحمك الله»(٣).

فدلالة الحديث ظاهرة في أن نفخ الروح عقب خلق البدن.

أدلة حدوث الروح: قال تعالى في شأن الظالمين: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلاَئِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ *} [الأنعام] ، وقال سبحانه: {يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *} [الفجر] ، وقال : {اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا

---

(١) انظر: الروح (٣٨٥).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) أخرجه ابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦١٦٥)، قال ابن حجر في المطالب العالية (٢٣٥/١٤): وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات أثبات. وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢١٥٩).

فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *} [الزمر] .

وقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «اللَّهُمَّ خلقت نفسي، وأنت توفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها، اللَّهُمَّ إني أسألك العافية»(١).

وقال صلّى الله عليه وسلّم: «لما نفخ الله في آدم الروح، فبلغ الروح رأسه عطس، فقال: الحمد لله ربِّ العالمين. فقال له تبارك وتعالى: يرحمك الله»(٢).

وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»(٣) .

والأحاديث في الباب كثيرة جدًّا.

صفات الروح في دورها المتعددة:

تمر الروح بثلاث دور مختلفة، ولها في كل دار صفات وأحكام خاصة، فصفات الروح وأحكامها في دار الدنيا تختلف عنها في دار البرزخ، وتختلف عنها في دار الجزاء.

فتوصف الروح في دار الدنيا بما يوصف به البدن في الجملة وإن كانت تبعًا له، قال الله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ} [الإسراء: ١] ، فالإسراء الحاصل هنا هو للعبد الذي هو مجموع الروح والبدن، فالذي ركب البراق في رحلة الإسراء هو الروح والبدن، والذي عرج به إلى السماء هو الروح والبدن، والذي رأى من آيات ربه الكبرى هو الروح والبدن، والذي صلى بالأرواح ببيت المقدس هو الروح والبدن، لا أحدهما دون الآخر(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة الاستغفار، رقم ٢٧١٢).

(٢) أخرجه ابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦١٦٥)، قال ابن حجر في المطالب العالية (٢٣٥/١٤): وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات أثبات. وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢١٥٩).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٢٠).

(٤) الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (١٥٦/١).

وقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»[١]، فالساجد هنا: مجموع الروح والبدن، لا الروح المحض، ولا البدن المحض.

وذكر ابن تيمية أن الإنسان الذي نفخت فيه الروح فصارت بدنًا فيه الروح هو ليس فيه بدن محض وروح محض حتى يقال: إنه يفعل كذا ببدنه، وكذا بنفسه؛ بل أفعاله تشترك فيها الروح، فهو إذا أكل وشرب فالروح تتلذذ بالأكل والشرب، وبها صار آكلاً شاربًا، وإلا فالبدن الميت لا يأكل ولا يشرب.

وإذا نظر، واستدل، وسمع، ورأى، وتعلم؛ فالنفس فعلت ذلك بالبدن، والبدن يظهر فيه ذلك، والروح وحدها لا تفعل ذلك[٢].

فلا يصح أن نفرق في هذه الدار بين صفات الروح والبدن، إلا ما كان حال النوم؛ فإن الروح تكتسب فيه صفات أخرى تميزها عن صفات البدن؛ لأنها تتوفى فيه الوفاة الصغرى؛ فتفارقه وتنفصل عنه انفصالاً جزئيًّا، فتذهب وتجيء، وتنعم وتعذب، وتأكل وتشرب، وتلتقي بأرواح الأحياء والأموات مع ما لها من اتصال بالبدن.

وتتغير صفات الروح في دار البرزخ بعد الموت، ويكون لها من الصفات والأحوال ما يتناسب وتلك الدار البرزخية، كما أن البدن ذاته تتغير صفاته، قال ابن تيمية في إشارة إلى هذا التغيير الحاصل في الصفات: «النفس تتغير صفاتها بمفارقة البدن، وكذلك البدن تتغير صفاته بمفارقة الروح له»[٣].

وقد دلَّت النصوص أن الروح في هذه الدار: تسمع، وتعقل، وتفهم، وأنها ذات رائحة، وأنها تتحرك، وتنتقل، وتتكلم، وتوصف بالطيب والخبث، والصدق والكذب، والإيمان والكفر أو النفاق، وكذا بالرضا، والحب والتمني، والحياة، والأكل والشرب، والرضاع، وتوصف بالفزع

(١) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٢).

(٢) الجواب الصحيح (٤/٢٥ ـ ٢٦).

(٣) المصدر السابق (٤/٢٥).

والشعوف والصياح، وتوصف بما يوصف به صاحبها من شكل وهيئة، إلى غير ذلك مما جاءت به النصوص الصحيحة(١).

ولعل أشمل حديث جاء فيه ذكر الروح وصفاتها وأحوالها حديث البراء بن عازب الطويل.

وفي دار الجزاء تكمل صفات الروح؛ بله الروح والبدن، يقول ابن القيّم عن حال الروح في هذه الدار ـ وهي آخر الدور التي تمر بها الروح وفيها تستقر ـ هي: دار القرار، وهي الجنة أو النار، فلا دار بعدها، والله ينقلها في هذه الدور طبقًا بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها، وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل لها إليها، ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الأخرى، فتبارك الله فاطرها ومنشئها ومميتها ومحييها ومسعدها ومشقيها، الذي فاوت بينها في درجات سعادتها وشقاوتها، كما فاوت بينها في مراتب علومها وأعمالها وقواها وأخلاقها(٢).

وقد دلَّ على كمال الروح وصفاتها في دار الجزاء: النصوص الواردة في وصف أهل الدارين وما هم فيه من نعيم أو عذاب؛ لأن السعادة أو الشقاوة في دار المقامة للأرواح والأبدان جميعًا، لا لهذه دون هذه ولا لهذه دون هذه.

قال تعالى عن أهل الجنة: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً *} [الكهف] . وقال عزّ وجل عن أهل النار: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *} [البقرة] .

وقال صلّى الله عليه وسلّم عن الفريقين: «يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت. ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون، ويقولون: نعم، هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار

(١) انظر: الروح في الديانات (١/١٥٨).

(٢) انظر: الروح (٢٩٦).

خلود فلا موت» . قال: ثم قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ *} [مريم] . وأشار بيده إلى الدنيا(١).

فخلود الفريقين خلود للأرواح والأبدان.

وهذا الخلود دليل على كمال الصفات في هذا الدور من أدوار الروح؛ لأنه لا موت ولا فناء ولا بلى للأرواح والأبدان؛ بل هو خلود أبدي سرمدي.

فصفة الحياة في هذه الدار أكمل منها في سابقتيها، الأبدان ماتت في الدنيا، والأرواح ماتت بفراق الأبدان، ثم عادت إليها مرة أخرى فكانت حياة أخرى كاملة مؤبدة لم تعهدها من قبل.

موت الروح، والخلاف في ذلك:

وفاة الروح والبدن:

الوفاة نوعان: كبرى وصغرى.

فبالكبرى يكون الموت؛ وهو الانفصال الكلي الذي تفارق فيه الروح البدن.

وبالصغرى يكون النوم؛ وهو الانفصال الجزئي الذي تبقى فيه الروح على اتصال بالبدن.

والوفاتان هما المذكورتان في قوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *} [الزمر] .

والروح لا تموت بموت البدن، ولا تبلى كما يبلى، فإذا فارقته بقيت في مستقرها إلى أن تلاقيه مرة أخرى فتدخله.

قال ابن تيمية –رحمه الله– : «الذي عليه الأنبياء وأتباعهم وجمهور العقلاء أن الروح تفارق البدن وتبقى بعد فراق البدن»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٣٠)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٩).

أما الجسد فيفنى ويبلى إلا عجب الذنب، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظمًا واحدًا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»[٢].

ويستثنى من ذلك الأنبياء، فإن أجسادهم محرمة على الأرض؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «إن الله عزّ وجل قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[٣].

هل تموت الروح بعد مفارقة البدن؟

ذهب بعض المتكلمين من المعتزلة والأشعرية[٤] إلى القول بفناء الأرواح بعد الموت، والنصوص السابقة دالة على بقاء الروح بعد فراق البدن، فإذا جاء يوم القيامة رجعت الروح إلى جسدها، وهذا ما قرره محققون من أهل العلم.

قال ابن القيم- رحمه الله-: (إنَّ الأرواحَ خُلِقَت لِلبَقاءِ لا لِلفَناءِ، هَذا هو الحَقُّ، وما خالَف فيه إلَّا شِرذَمةٌ مِنَ النَّاسِ من أهلِ الإلحادِ القائِلينَ: إنَّ الأرواحَ تَفنَى بفَناءِ الأبَدانِ؛ لِكَونِها قوَّةً من قُواها، وعَرَضًا من أعراضِها.

وهَؤُلاءِ قِسمانِ؛ أحَدُهما: مُنكِرٌ لِمُعادِ الأبَدانِ، والثَّاني: مَن يُقِرُّ بمُعادِ الأبدانِ، ويَقولُ: إنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ يُعيدُ قُوى البَدَنِ وأعراضَه، ومِنها: الرُّوحُ، فتَفنَى بفَناءِ الأبَدانِ، فلَيسَ عِندَ الطَّائِفتينَ رُوحٌ قائِمةٌ بنَفسِها، تُساكِنُ البَدَنَ وتَفارِقُه، وتَتَّصِلُ به وتَنفصِلُ عَنه.

---

(١) الجواب الصحيح (٢٦٨/٣) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٣٥)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٥٥).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٠٤٧)، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٣٧٤)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها، رقم ١٠٨٥)، وأحمد (٨٤/٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب الصلاة، رقم ١٦١٣)، وصحَّحه النووي في الأذكار (١١٥) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٢٧).

(٤) انظر: الروح (٥١)، ومجموع الفتاوى (٢٨٣/٤، ٤٩٢)، والفصل (٥٧/٤، ٥٨).

وأمَّا الحَقُّ الَّذي اتَّفقَت عليه الرُّسُلُ وأتباعُهم: فهو أنَّ هَذِه الأرواحَ باقيةٌ بَعدَ مُفارَقةِ أبدانِها، لا تَفنَى ولا تَعدَمُ، وأنَّها مُنَعَّمةٌ أو مُعَذَّبةٌ في البَرزَخِ، فإذا كانَ يَومُ المِعادِ رُدَّت إلَى أبدانِها، فتُنعَّمُ مَعَها أو تُعَذَّبُ، ولا تَعدَمُ ولا تَفنَى)[1].

وقال ابنُ أبي العِزِّ: (اختَلَف النَّاسُ هَل تَموتُ الرُّوحِ أم لا؟ فقالت طائِفةٌ: تَموتُ لِأنَّها نَفسٌ، وكُلُّ نَفسٍ ذائِقةُ الموتِ،...وإذا كانَتِ المَلائِكةُ تَموتُ، فالنُّفوسُ البَشَريَّةُ أَولَى بالموتِ، وقال آخَرونَ: لا تَموتُ الأرواحُ؛ فإنَّها خُلِقَت لِلبَقاءِ، وإنَّما تَموتُ الأبَدانُ، قالوا: وقَد دَلَّ على ذلك الأحاديثُ الدَّالَّةُ على نَعيمِ الأرواحِ وعَذابِها بَعدَ المُفارَقةِ إلَى أن يَرجِعَها اللهُ في أجسادِها، والصَّوابُ أن يُقال: مَوتُ النُّفوسِ هو مُفارَقَتُها لِأجسادِها وخُروجُها مِنها، فإنْ أريدَ بموتِها هَذا القَدْرُ فهيَ ذائِقةُ الموتِ، وإن أريدَ أنَّها تُعْدَمُ وتَفنَى بالكُلِّيَّةِ فهيَ لا تَموتُ بِهَذا الاعتِبارِ، بَل هيَ باقيةٌ بَعدَ خَلقِها في نَعيمٍ أو في عَذابٍ... وقَد أخبَرَ سُبحانَه أنَّ أهلَ الجَنَّةِ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى [الدخان: ٥٦] ، وتِلكَ المَوتةُ هيَ مُفارَقةُ الرُّوحِ لِلجَسَدِ)[2].

فالخلاصة: إن الروح عند الموت تفارق البدن إلى مستقرها وهي فيه إما منعمة وإما معذبة حتى تعود إلى البدن بعد البعث ، ولا تموت كموت البدن، وذلك باتفاق الرسل وأتباعهم من المسلمين ولم يخالف في ذلك إلا من شذ عن طريقهم.

مستقر الأرواح في البرزخ :

مستقر الأرواح: هو المكان الذي تكون فيه الأرواح بعد أن تفارق أجسادها بالموت، وهو مقر نعيم أو عذاب، إلى أن تبعث مع بدنها إلى مقرها.

والواجب على المسلم الاعتقاد الجازم بأن الأرواح بعد الموت باقية لا تفنى كما دلَّت عليه النصوص.

ومن الأدلة على ذلك: قول الله تبارك وتعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا*} [النساء].

---

(١) يُنظر: ((مدارج السالكين)) (٣/ ٢٤١).

(٢) يُنظر: ((شرح الطحاوية)) (٢/ ٥٧٠).

وقوله تعالى: {يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً *فَادْخُلِي فِي عِبَادِي *وَادْخُلِي جَنَّتِي *} [الفجر] .

وقوله سبحانه: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ} [آل عمران: ١٦٩].

وقول النبي صلّى الله عليه وسلّم: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه».

مراتب مستقر الأرواح:

مقر الأرواح من الأمور الغيبية التي لا تعلم إلا بالوحي، وعلى ذلك فلا مجال للعقل فيه، كما أنه لا مجال فيه للتخرصات والتكهنات.

وقد دلَّت النصوص على أن الأرواح تتفاوت في مستقرها بعد الموت أعظم التفاوت، فأرواح المؤمنين لها مقر، وأرواح الكافرين لها مقر معاكس. ثم بعد ذلك هناك تفاوت في مقر أرواح المؤمنين أنفسهم، فإن منهم الطائعين المسددين، ومنهم العصاة المفرطين، ولكل مقرٍّ يليق به.

فالأرواح إذًا ليست في مرتبة واحدة، وليست على درجة واحدة؛ بل هي مراتب ودرجات متباينة[١].

ويمكن بيان ذلك وعرضه على النحو الآتي[٢]:

١ ـ مستقر أرواح الأنبياء عليهم السلام:

دلَّت النصوص على أن مقر أرواحهم في أعلى عليين من الجنة، على ما بينهم من التفاضل في الدرجات والتفاوت في المنازل؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يحيى أو يخير» ، فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال: «اللَّهُمَّ في الرفيق الأعلى» ، فقلت: إذًا لا يجاورنا[٣].

---

(١) الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (٢٦٩/١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢٦٩/١ ـ ٣٣١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤٣٧)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٤).

ففي هذه الرواية اختار النبي صلّى الله عليه وسلّم الرفيق الأعلى وهم: «جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين»[١]، وكأنه اختار رفقة خاصة، لها علو المكان والمنزلة كما يفهم من قوله: «الأعلى».

وجاء في رواية لأحمد ما يفيد اختياره للرفقة العامة، حيث قال: «مع الرفيق الأعلى في الجنة، {مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ} إلى آخر الآية»[٢]، وهي لا تناقض سابقتها، فإنه اختار أولاً المكان الذي هو مستقر أرواح السعداء، واختار منه أعلاه وأرفعه منزلة وهو ملتقى أرواح الأنبياء. وجاء في رواية للنسائي: «أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام»[٣] ، فهذا صنف آخر ورفقة خاصة مع رؤوس الملائكة عليهم السلام.

قال ابن حجر: «وظاهره أن الرفيق: المكان الذي تحصل المرافقة فيه مع المذكورين»[٤] من الملائكة والجماعة الذين في قوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا *} [النساء] .

وقد دلَّت على تفاوت الأنبياء في منازلهم أحاديث الإسراء والمعراج، فقد رأى النبي صلّى الله عليه وسلّم آدم عليه السلام في السماء الدنيا، ورأى إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة، ورأى غيرهما من الأنبياء عليهم السلام فيما بين السماءين[٥].

---

(١) تحفة الأحوذي (٤٦٨/٩) [مطبعة المعارف]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢٤٦/٣) [دار الفكر].

(٢) أخرجه أحمد (٥١٠/٤٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الهيثمي: «أحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٣٦/٩) [مكتبة القدسي].

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٨٧٠)، وابن حبان في صحيحه (كتاب التاريخ، رقم ٦٥٩١)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٦/٧): «هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين».

(٤) فتح الباري (٧٤٤/٧) [دار الريان، ط١، ١٤٠٧هـ].

(٥) انظر: حديث الإسراء والمعراج عند البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٢).

وذكر ابن القيّم من مراتب مستقر الأرواح: أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي صلّى الله عليه وسلّم في الإسراء[١].

٢ ـ مستقر أرواح عموم المؤمنين:

مقر أرواح المؤمنين الجنة؛ بل هي طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى أجسادهم يوم القيامة. فأما كونها في الجنة، فلقوله تعالى: {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ *فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ *} [الواقعة] ، وهذا ذكره ـ سبحانه ـ بعد ذكر خروج الروح من البدن بالموت[٢] [٥٨]. وقوله تعالى: {يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً *فَادْخُلِي فِي عِبَادِي *وَادْخُلِي جَنَّتِي *} [الفجر] .

وقال صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»[٣].

فجعل الموت حائلاً بينه وبين دخول الجنة، فإذا فارق الروح الجسد دخلها.

وأما كونها طيرًا يأكل من ثمر الجنة، فلقوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق[٤] في شجر الجنة حتى يرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه».

---

(١) الروح (٢٩٣) [دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤١٠هـ].

(٢) انظر: المصدر السابق (١٥٨).

(٣)أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (١٨٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والطبراني في الأوسط (٩٣/٨) [دار الحرمين، ١٤١٥هـ]، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٩٩/٢) [دار الكتب العلمية، ط١]: «رواه النسائي والطبراني بأسانيد، أحدها صحيح»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٢/١٠) [مكتبة القدسي]: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد، وأحدها جيد». وانظر: السلسلة الصحيحة (رقم ٩٧٢).

(٤) تعلق: تأكل. انظر: النهاية (٢٨٩/٣). وقال الزرقاني في شرحه على موطأ مالك (١١٥/٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ]: «يعلق بالتحتية صفة طير، وبفتح اللام رواية الأكثر كما قال ابن عبد

٣ ـ مستقر أرواح الشهداء:

تقدم أن أرواح عموم المؤمنين في شكل طير في الجنة، وأما الشهداء فنوعان: نوع أرواحهم في حواصل طير خضر في الجنة، وهي كما يقول ابن كثير: «كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين»(١).

ودليل ذلك: قوله صلّى الله عليه وسلّم: «لما أصيب إخوانكم بأُحد جعل الله عزّ وجل أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم؛ قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا! لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عزّ وجل : أنا أبلغهم عنكم» فأنزل الله عزّ وجل هؤلاء الآيات على رسوله صلّى الله عليه وسلّم: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ} [آل عمران: ١٦٩](٢).

ولما سأل التابعون الصحابة رضي الله عنهم عن الآية الآنفة، قال ابن مسعود رضي الله عنه: أما إنّا قد سألنا عن ذلك، فقال صلّى الله عليه وسلّم: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا. ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا؛ قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»(٣).

البر، وروي بضمها، قال: والمعنى واحد، وهو: الأكل والرعي في شجر الجنة لتأكل من ثمارها، وقال البوني: معنى رواية الفتح: تأوي، والضم ترعى».

(١) تفسير ابن كثير (٤٢٨/١) [دار طيبة، ط٢].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٥٢٠)، وأحمد (٢١٨/٤) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والحاكم في المستدرك (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٤٤) وصحَّحه، وحسَّنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ٢٢٧٥) [مؤسسة غراس، ط١].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٨٧).

ونوع أرواحهم في قبة خضراء على نهر بباب الجنة؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا»[١].

قال الساعاتي: «قال العلماء: هذا في شهداء عليهم ذنوب منعتهم من دخول الجنة مع السابقين»[٢].

٤ ـ مستقر أرواح ذراري المؤمنين والمشركين:

دلَّت النصوص على أن أرواح الذراري بإطلاق ممن لم يبلغ الحنث في الجنة، في كفالة إبراهيم الخليل عليه السلام وزوجه سارة رضي الله عنها على ما بينهم من التفاضل والتفاوت في الدرجات.

قال صلّى الله عليه وسلّم: «إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له لظئرين[٣] تكملان رضاعه في الجنة»[٤].

وفي حديث سمرة الطويل قال صلّى الله عليه وسلّم: «أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما قال: فانطلقنا، فأتينا على روضة معشبة فيها من كل نور الربيع، وإذا بين ظهراني الروضة رجل قائم طويل، لا أكاد أن أرى رأسه طولاً في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط وأحسنه، قلت لهما: ما هذا وما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق، انطلق» ، إلى أن بيَّنا له فقالا: «وأما الرجل الطويل الذي رأيت في الروضة: فإنه إبراهيم، وأما الولدان الذين حوله: فكل مولود مات على الفطرة».

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٢٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب السير، رقم ٤٦٥٨)، والحاكم (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٠٣) وصحَّحه، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٣٧) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٢) الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (١٤/٢٨) [دار الشهاب].

(٣) ظئرين: الظئر: المرضعة غير ولدها، ويقع على الذكر والأنثى. النهاية (٣/١٥٤).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣١٦).

وفي لفظ: «فقالا: انطلق. فانطلقت، فإذا روضة خضراء، فإذا فيها شجرة عظيمة، وإذا شيخ في أصلها حوله صبيان» إلى أن بيَّنا له فقالا: «وأما الشيخ الذي رأيت في أصل الشجرة: فذاك إبراهيم عليه السلام وأما الصبيان الذي رأيت: فأولاد الناس»[١].

ووقع في حديث أبي أمامة: «ثم انطلقنا، فإذا نحن بغلمان وجوار يلعبون بين نهرين، قلت: ما هؤلاء؟ قال: ذرية المؤمنين»[٢].

ومما يدلُّ على أن مقر أرواح أطفال المؤمنين الجنة الأحاديث الواردة في أفراطهم الصغار ممن لم يبلغ الحنث وكونهم يتلقون آباءهم على أبوابها، وكونهم يشفعون لهم فيدخلونها، وكذا الأحاديث التي نصت على كونهم سببًا في دخول والديهم الجنة ونجاتهم من النار[٣].

ومما يدلُّ بصفة خاصة على كون أطفال المشركين في الجنة، قوله صلّى الله عليه وسلّم: «النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود والوليدة»[٤]، وفي لفظ: «والمولود في الجنة، والوئيد في الجنة»[٥]، وهذا عام.

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٧٠٤٧)، وأحمد (٢٨٤/٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، واللفظ له.

(٢) أخرجه ابن خزيمة (كتاب الصيام، رقم ١٩٨٦)، والطبراني في الكبير (١٥٦/٨) [مكتبة ابن تيمية، ط٢] واللفظ له، والحاكم (كتاب الطلاق، رقم ٢٨٣٧) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٩٥١).

(٣) انظر: الروح في الديانات (٢٨٧/١ ـ ٢٩٢).

(٤) أخرجه أحمد (٤٥٩/٣٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (٢٤٦/٣) [دار المعرفة]، وله شاهد عند البزار (٣٢٠/١١) [مكتبة العلوم والحكم، ط١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح، غير محمد بن معاوية بن مالج، وهو ثقة». مجمع الزوائد (٢١٩/٧) [مكتبة القدسي]، وقواه الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٧، ٣٣٨٠).

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٥٢١)، وأحمد (١٩٠/٣٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وهو الحديث السابق نفسه، وفي سنده جهالة، كما أشار إليه الألباني في صحيح أبي داود (٢٨٠/٧) [مؤسسة غراس، ط١]، لكنه صححه بشواهده.

ومما يشهد له قوله صلّى الله عليه وسلّم: «سألت ربي اللاهين[١]من ذرية البشر أن لا يعذبهم، فأعطانيهم»[٢].

وأيضًا قوله صلّى الله عليه وسلّم: «أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة»[٣].

٥ ـ مستقر الأرواح الحبيسة:

وهذه أرواح مؤمنة قد حبست عن دخول الجنة بسبب يزول بزواله حبسها، وهم صنفان من المؤمنين:

الأول: من حبس بسبب دين، ويدخل هنا الشهداء وغيرهم.

قال صلّى الله عليه وسلّم: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه»[٤].

ومعنى معلقة: محبوسة[٥].

---

(١) اللاهين: هم الأطفال. انظر: فتح الباري (٣/٢٩٠).

(٢) أخرجه أبو يعلى (٦/٢٦٧، ٧/١٣٨) [دار المأمون للتراث، ط١]، والطبراني في الأوسط (٦/١١١) [دار الحرمين]، وقد اختلف أهل العلم في ثبوته: فأعله الدارقطني في العلل (١٢/٢٢٩) [دار ابن الجوزي، ط١]، وضعفه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٤٤٤) [إدارة العلوم الأثرية، ط٢]، والبوصيري في الإتحاف (٨/٢٧٢) [دار الوطن، ط١]، وابن القيم في أحكام أهل الذمة (٢/١١٢٧) [رمادي للنشر، ط١]، وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (٣/٢٤٦) [دار المعرفة]، وحسَّنه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (٤/٥٠٤).

(٣) أخرجه الطيالسي (٩/٢٨٢) [دار المعرفة]، والبزار (١٤/٣٩) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، والطبراني في المعجم الأوسط (٣/٢٢٠) [دار الحرمين]، وضعف إسناده الحافظ في الفتح (٣/٢٤٦) [دار المعرفة]، وصحَّحه الألباني بمجموع طرقه وشواهده في السلسلة الصحيحة (٣/٢٥٢) [مكتبة المعارف، ط٢، ١٤١٦هـ].

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٧٩) وحسَّنه، وابن ماجه (كتاب الصدقات، رقم ٢٤١٣)، وأحمد (١٦/٣٥٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب البيوع، رقم ٢٦٣٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٧٧٩).

(٥) انظر: مجمل اللغة لابن فارس (٣/٦٢٦)، والمصباح المنير للفيومي (٢/٧٧)، والفتح الرباني (٧/١٠٠).

وفي حديث سمرة بن جندب؛ أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صلى الفجر ذات يوم، فقال: «هاهنا من بني فلان أحد؟» مرتين، فقال رجل: هو ذا. فكأني أسمع صوت النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «إن صاحبكم قد حبس على باب الجنة بدين كان عليه»[(١)].
يعني: حبست روحه عن مستقرها مع أرواح المؤمنين.

الثاني: من حبس بسبب ذنب.

وخاصة كبائر الذنوب من نحو الغلول، أو النياحة على ميت، أو عدم التنزه من البول، أو الغيبة، أو النميمة وغيرها مما ورد فيه حدٌّ في الدنيا أو وعيد في الآخرة، أو ورد فيها وعيد بنفي الإيمان، أو لعن، أو غضب أو نحو ذلك.

ومثال ذلك في الغلول، ما جاء في حديث رافع، قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا صلى العصر ربما ذهب إلى بني عبد الأشهل، فيتحدث حتى ينحدر للمغرب، فبينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مسرعًا إلى المغرب، إذ مر بالبقيع، فقال: «أف لك، أف لك» مرتين، فكبر في ذرعي، وتأخرت، وظننت أنه يريدني، فقال: «ما لك؟ امش» قال: قلت: أحدثت حدثًا يا رسول الله؟ قال: «وما ذاك؟» قلت: أففت بي. قال: «لا، ولكن هذا قبر فلان، بعثته ساعيًا على بني فلان، فغل نمرة، فدرع الآن مثلها من نار»[(٢)].

ومثاله في تعذيب الحيوان، قوله صلّى الله عليه وسلّم: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تسقها، ولم ترسلها فتأكل من خشاش الأرض»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب البيوع، رقم ٣٣٤١)، والنسائي (كتاب البيوع، رقم ٤٦٨٥)، وأحمد (٣٢٩/٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والحاكم (كتاب البيوع، رقم ٢٢١٣) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في أحكام الجنائز (١٥) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٢) أخرجه النسائي (كتاب الإمامة، رقم ٨٦٢)، وأحمد (١٧٠/٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وابن خزيمة (كتاب الزكاة، رقم ٢٣٣٧)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٣٥٠) [مكتبة المعارف، ط٥]. لكن يشهد لعذاب الغال في القبر عدة أحاديث في الصحيحين وغيرهما.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٣١٨)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٤٣).

وقد صوّب النووي- رحمه الله- أن هذه المرأة كانت مسلمة، وأنها دخلت النار بسببها كما هو ظاهر الحديث، ثم قال: «وهذه المعصية ليست صغيرة؛ بل صارت بإصرارها كبيرة»[١].

ومما يحسن التنبيه إليه: أن الموانع من دخول الأرواح الجنة تزول في الدَّيْن بقضائه، وفي الذنوب بتكفيرها، ثم تعود بعد إلى مستقرها من الجنة؛ لأن عذاب القبر منه ما هو دائم ومنه ما هو منقطع، والمقصود هنا الثاني[٢].

٦ ـ مستقر أرواح الكفار:

دلَّت النصوص على أن مقر أرواح الكفار النار، وفي بعضها: في سجين في الأرض السفلى بحسب منازلهم.

جاء في حديث البراء الطويل: أن الملائكة إذا قبضت روح الكافر: «يصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان. بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له» . ثم قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: {لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ *} [الأعراف] «فيقول الله عزّ وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا . ثم قرأ: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ *} [الحج] »[٣].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/٣٤٠).

(٢) الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (١/٣٢٩).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢١٢)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٩)، وأحمد (٣٠/٥٠٢) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ١٠٧)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٥٨) [دار مكتبة الحياة، ١٤٠٧هـ] بعد أن ساق لفظ أبي داود: «رواه أحمد بإسناد رواته محتج بهم في الصحيح، أطول من هذا»، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/٢١٩) [مكتبة المعارف، ط٥].

دعوى تناسخ الأرواح:

المراد بتناسخ الأرواح: هو انتقال الروح من شخص إلى شخص أبد الآباد. فعند من يقول بتناسخ الأرواح: إذا مات الميت وخرجت روحه من جسده استقرت في جسد آخر، وهكذا إلى ما لانهاية! (١).

الرد على دعوى تناسخ الأرواح:

لا صحة لمن قال بتناسخ الأرواح، كما هو قول الباطنية، والإسماعيلية، والدروز، والنصيرية، والبابية، والبهائية، والقاديانية(٢).

وبالجملة؛ فالغلاة كلهم متفقون على التناسخ(٣)، وإن اختلفت تصوراتهم، وهم مستنون في معتقدهم بالبراهمة الهنود، فإن أصل القول بالتناسخ مأخوذ عنهم(٤).

والتناسخ من العقائد الباطلة التي تصادم القرآن والسُّنَّة والعقل، ولا أدلة معتبرة لأصحابه.

تحضير الأرواح:

المراد بتحضير الأرواح: تحضير الأرواح المزعوم سبيله ليس واحداً، فمنه ما هو كذب صراح، يستعمل فيه الإيحاء النفسي، والمؤثرات المختلفة، والحيل العلمية، ومنه ما هو استخدام للجنّ والشياطين(٥).

---

(١) انظر: التوضيح عن توحيد الخلاق (ص: ٩٩).

(٢) انظر: الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (٢/٧٩).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١/٢٠٥) [المكتبة العصرية، ط١٤١١هـ]، وحركة الغلو وأصولها الفارسية (ص١٦) [مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤٠٩هـ].

(٤) انظر: الملل والنحل (١/٢٠٦) (٢/٣٦٦) [دار المعرفة، ط١، ١٤١٠هـ]، ومقارنات الأديان. الديانات القيمة (٣٨) [دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩١م]، والإنسان في ظل الأديان (١٩٤) [مكتبة المعارف، ط١٤٠٠هـ].

(٥) انظر: عالم الجن والشياطين (ص: ١٠٠).

يزعم أصحابه فيه أن بقدرتهم تحضير أرواح البشر والتخاطب معها، وغالبه تخاطب مع الشياطين التي تتشكل بصور البشر.

وصار لمتعاطي هذه الأشياء طائفة ومذهب موجود يسمون بـ"الروحية" أو "الروحية الحديثة"[١].

الرد على دعوى تحضير الأرواح:

لا صحة أيضًا لمن زعم قدرته على تحضير الأرواح من مستقرها، ومثولها بين يديه، ومناجاتها[٢] [١٤].

وقد سئلت اللجنة الدائمة[٣] [١٥] عن تحضير الأرواح، فأجابت بأن ذلك يعرف باستخدام الجني واستحضاره بأدعية وتعويذات يقوم بها مستحضره، وذلك نوع من الشعوذة والكهانة، وهو ممنوع شرعًا؛ لما فيه غالبًا من الشرك والكذب ودعوى علم الغيب ونحو ذلك.

قال الله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا *} [الجن] ، وقال: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ *وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ *} [الأنعام] .

وروى البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله؛ كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك، حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ وصفه

---

(١) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها للدكتور غالب عواجي (٢/ ٨٨١).

(٢) انظر: الموسوعة الشاملة لمذهب الروحية الحديثة وتحضير الأرواح (١/٣٦٣) فما بعد، (٢/٦٧٣) فما بعد.

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة ـ المجموعة الأولى (١/٦٤٤ـ ٦٤٥).

سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه ـ فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء»[(١)] [١٦].

وقد سئل العلامة ابن باز – رحمه الله– عما يسمى بعلم تحضير الأرواح، فأجاب: «إنه علم باطل وإنه شعوذة شيطانية، يراد منها إفساد العقائد والأخلاق والتلبيس على المسلمين، والتوصل إلى دعوى علم الغيب في أشياء كثيرة»[(٢)] [١٧].

تلاقي الأرواح (أرواح الأموات مع بعضها، وأرواح الأحياء مع الأموات):

أ– مسألة تلاقي أرواح الأموات مع بعضها:

ورد في ذلك الحديث الآتي:

عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا حضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح الله، وريحان، ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى أنه ليناوله بعضهم بعضا، حتى يأتون به باب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا، فإذا قال: أما أتاكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية، وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطا عليك إلى عذاب الله عز وجل، فتخرج كأنتن ريح جيفة، حتى يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح حتى يأتون به أرواح الكفار "[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٠٠).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٣٠٩/٣). وانظر: فتاوى اللجنة الدائمة ـ المجموعة الثانية (٢٥٧/١).

(٣) أخرجه النسائي (١٨٣٣)، وابن حبان (٣٠١٤)، والحاكم (١٣٠٢) باختلاف يسير مُطَوَّلًا. صَحَّحه ابنُ حبان، والألباني في ((صحيح سنن النسائي)) (١٨٣٣)، والوادعي في ((الصحيح المسند))

قال ابنُ القَيِّمِ- رحمه الله- : (المسألةُ الثَّانيةُ، وهيَ: أنَّ أرواحَ الموتَى هَل تَتَلاقَى وتَتَزاورُ وتَتَذاكَرُ أم لا؟

فهيَ أيضًا مَسألةٌ شَريفةٌ كَبيرةُ القَدْرِ، وجَوابُها أنَّ الأرواحَ قِسْمانِ: أرواحٌ مُعَذَّبةٌ وأرواحٌ مُنَعَّمةٌ؛ فالمعذَّبةُ في شُغلٍ مِمَّا هيَ فيه مِنَ العَذابِ عَنِ التَّزاوُرِ والتَّلاقي، والأرواحُ المنَعَّمةُ المرسَلةُ غَيرُ المحبوسةِ تَتَلاقَى وتَتَزاورُ وتَتَذاكَرُ ما كانَ مِنها في الدُّنيا وما يَكونُ من أهلِ الدُّنيا، فتَكونُ كُلُّ رُوحٍ مَعَ رَفيقِها الَّذي هو على مِثلِ عَمَلِها، ورُوحُ نَبيِّنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عليه وآلِه وسَلَّمَ في الرَّفيقِ الأعلَى؛ قال اللَّهُ تعالى: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا [النساء: ٦٩] ، وهذه المعِيَّةُ ثابتةٌ في الدُّنيا، وفي دارِ البَرزَخِ، وفي دارِ الجَزاءِ، والمرءُ مع من أحَبَّ في هَذِه الدُّورِ الثَّلاثةِ)[1].

ب- مسألة تلاقي أرواح الأحياء مع أرواح الأموات:

روي في ذلك عدة آثار، من أشهرها: أثر ابن عباس في تفسير الآية:

قَالَ الله تَعَالَى {الله يتوفى الْأَنْفس حِين مَوتهَا وَالَّتِي لم تمت فِي منامها فَيمسك الَّتِي قضى عَلَيْهَا الْمَوْت وَيُرْسل الْأُخْرَى إِلَى أجل مُسَمّى إِن فِي ذَلِك لآيَات لقوم يتفكرون} قَالَ: (بَلغنِي أَن أَرْوَاح الْأَحْيَاء والأموات تلتقي فِي الْمَنَام فيتساءلون بَينهم فَيمسك الله تَعَالَى أَرْوَاح الْمَوْتَى وَيُرْسل أَرْوَاح الْأَحْيَاء إِلَى أجسادها)، وروي نحوه عن سعيد بن جبير، والسدي[2].

وفي المسألة مذهبان:

المذهب الأول: إمكانية تلاقي أرواح الأحياء بأرواح الأموات:

وممن ذهب إلى ذلك : ابن جرير، وابن القيم، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، والألوسي، والسعدي. وغيرهم.

(١٣٣١)، وصَحَّح إسناده الحاكم، والعراقي في ((تخريج الإحياء)) (٥/٢١٢)، والألباني في تخريج المشكاة برقم (١٦٢٩). وانظر تخريجه عنده في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٠٩) ورقم (٢٧٥٨).

(١) يُنظر: ((الروح)) (١/٤٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٢٩٨)، والآيات البينات في عدم سماع الأموات (ص: ٨٤).

وانتصر له الإمام ابن القيم – رحمه الله – وعقد لذلك فصلاً في كتاب الروح وقال فيه : (شواهد هذه المسألة وأدلتها أكثر من أن يحصيها إلا الله تعالى والحس والواقع من أعدل الشهود بها، فتلتقي أرواح الأحياء والأموات كما تلتقي أرواح الأحياء) (١).

واستدلوا بالآية المذكورة.

ووجه استشهاد هؤلاء العلماء بهذه الآية على التقاء الأرواح. أن النفس الممسكة هي من توفيت وفاة الموت أولا، والنفس المرسلة من توفيت وفاة النوم، والمعنى على هذا القول: أنه سبحانه يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها إلى جسدها قبل يوم القيامة، ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها إلى جسدها إلى بقية أجلها فيتوفاها الوفاة الأخرى.

وعلى ذلك يكون – عندهم – معنى قوله تعالى: {فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ} أُريدَ بها أن من مات قبل ذلك لقيت روحه روح الحي.

ومما استدلوا به : عموم حديث : (الأرواح جنود مجنده فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) (٢).

فقد ذكر القرطبي رحمه الله أنه قيل في معنى هذا الحديث، تلاقي أرواح النيام والموتى وقيل غير هذا والله أعلم. (٣).

ومما استدلوا به: الآثار المروية عن بعض السلف في تفسير الآية ومنها ما تقدمت الإشارة إليه عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي.

ومما استدلوا به : دليل الحس ، وهو ما يراه النائم من الرؤى والمنامات.

قال ابن القيم – رحمه الله-: (وقد دل على التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحي يرى الميت في منامه فيستخبره ويخبره الميت بما لا يعلم الحي فيصادف خبره كما أخبر) (١).

---

(١) انظر: الروح (ص٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٣٣) برقم (٣٣٣٦) من حديث عائشة، ومسلم (٤/ ٢٠٣١) برقم (٢٦٣٨) من حديث أبي هريرة.

(٣) انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٦٣) دار الريان الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ).

ثم ذكر عدة رؤى ومنامات حملها على التقاء روح الحي بروح الميت وتخاطب إحداهما مع الأخرى.

المذهب الثاني: أن أرواح الأحياء لا تتلاقى مع أرواح الأموات؛ لعدم صراحة الأدلة في الباب. وممن ذهب إلى ذلك علماء اللجنة الدائمة فقد جاء في كلامهم:

(دنو أرواح الأموات من قبورهم يوم الجمعة، أو ليلتها، ومعرفتهم مَن زارهم، أو مرَّ بهم، وسلَّم عليهم، أكثر من معرفتهم بهم في غير يوم الجمعة، أو ليلتها، والتقاء الأحياء والأموات ذلك اليوم: كل هذا من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها، فلا تُعلم إلا بوحي من الله لنبيٍّ من أنبيائه، ولم يثبت في ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما نعلم، ولا يكفي في معرفة ذلك الأحلام؛ فإنها تخطئ، وتصيب، فالقول بها، والاعتماد عليها: رجم بالغيب.

الشيخ عبد العزيز بن باز، الشيخ عبد الرزاق عفيفي، الشيخ عبد الله بن قعود[٢].

وفي جواب للشيخ العلامة ابن باز – رحمه الله– عن سؤال نصه: هل الميت بعد موته يلتقي بأهله وإخوانه الذين ماتوا من قبل ويعرفهم؟ وهل يلتقي أهل الخير ويتعارفون بعد موتهم؟ فأجاب –رحمه الله – : (الله أعلم، لا أعلم في هذا نصًا ثابتًا وإنما ذكر بعض أهل العلم هذا المعنى كابن القيم في كتاب الروح وغيره، ولكن هذه المسائل تحتاج إلى دليل عن المعصوم عن النبي ﷺ في إثبات اللقاء، أما أرواح المؤمنين فهي في الجنة كما ثبت عنه ﷺ: أن أرواح المؤمنين طائر يعلق في شجر الجنة حتى يردها الله إلى أجسادها، وأرواح الشهداء تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش هذه أرواح الشهداء المقتولين في سبيل الله، وأما أرواح المؤمنين فإنها تسرح في الجنة حتى يردها الله إلى أجسادها في صور طير في الجنة.

أما كونهم يتلاقون ويتعارفون فهذا يحتاج إلى دليل ثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام، يعني: كون أرواحهم تتلاقى ويتعارفون هذا يوجد بعض المرائي الذي يراها أهل الصلاح والخير تدل على شيء من التلاقي.. لكن الجزم بذلك وأن هذا شيء ثابت لجميع الأرواح يحتاج إلى

---

(١) الروح (ص: ٢١).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١ / ٦٤٦ فما بعدها).

دليل ثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام، لكن بعض المرائي تدل عن وقوع شيء من هذا)[١].

وناقشوا أدلة أصحاب القول الأول:

أ- مناقشة استدلالهم بالآية:

حيث نوقش استدلالهم بالآية بالقول: إننا لا نسلم أن معنى الآية ما ذكرتم. بل إن معنى الآية بخلاف ذكرتم ؛ فالآية تدل على أن كلا من النفسين: الممسكة والمرسلة توفيتا وفاة النوم، وأما التي توفيت وفاة الموت فتلك قسم ثالث وهي التي قدمها بقوله: {يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} قالوا: وعلى هذا يدل الكتاب والسنة، فإن الله قال: {اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} فذكر إمساك التي قضى عليها الموت من هذه الأنفس التي توفاها بالنوم، وأما التي توفاها حين موتها فتلك لم يصفها بإمساك ولا إرسال ولا ذكر في الآية التقاء الموتى والنيام[٢].

وخلاصة المناقشة: إن ما ذُكر من التقاء أرواح النيام والموتى لا ينافي ما في الآية، وليس في لفظها دلالة عليه[٣].

ب- ونوقش استدلالهم بحديث الأرواح جنود مجندة بأن المراد به أرواح الأحياء فهي التي تتآلف وتتناكر، وبعدم التسليم لتناوله لأرواح الأموات؛ لأن ذلك غيب لا يثبت إلا بدليل صحيح صريح.

ج- ونوقش استدلالهم بالآثار المذكورة بأنها لا تقوم بها الحجة في أمر غيبي. وأمور الغيب لا بد لها من نص ثابت صريح.

---

(١) انظر: موقع الكتروني: https://cutt.us/R05TG ، تاريخ الاطلاع: ١٤٤٥/٣/١٧هـ.

(٢) ينظر: شرح حديث النزول لابن تيمية (٩٤) منشورات المكتب الإسلامي الطبعة السادسة (١٤٠٢)هـ.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٥ / ٤٥٣).

د- ونوقش استدلالهم بالرؤى والمنامات بأن غالب ما ذكر من ذلك من قبيل رواية غير المعصوم عن مجهول، وهو أضعف من أن يُحتج به على أمر غيبي[١].

ثم هو دخول في حقيقة الحُلُم وكيفيته بدون حجة شرعية، وتقدم قريباً أنه ليس في لفظ الآية التي استدلوا بها دلالة عليه. والله أعلم.

تطبيق ما درسه الطالب في مسائل الروح على ما جد من المسائل، مثل: الروحية الحديثة والتنويم المغناطيسي، وغيرهما[٢].

خامسا : النفخ في الصور.

أ- تعريف الصور، وذكر بعض أسمائه:

الصُّور : هو القَرْن، قاله الجوهري[٣]، وهو قول جمع من أهل التفسير[٤]، وهو الناقور أيضًا[٥]، وقيل: الصور هو البوق بلغة أهل اليمن[٦]، ينفخ فيه النافخ للتجمع والنفير، وهو مما ينادى به للحرب، وعند الأسفار، وينادى به للصلاة عند اليهود[٧].

أدلته: من أدلة إثبات الصور قوله تعالى: {وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ *} [الأنعام] ، وقوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا

---

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١ / ٦٥٠ فما بعدها).

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٣١١). مقال مطول في الموضوع.

(٣) الصحاح (٢٧٩/٣) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٢٠/٧) [دار إحياء التراث العربي]، وتفسير ابن كثير (١٤٧/٢) [دار الفكر، ١٤٠٦هـ]، وزاد المسير (٦٨/٣) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٧هـ]، ومعالم التنزيل (١٥٧/٣) [دار طيبة، ١٤٠٩هـ]، وروح المعاني (١٩١/٧) [دار إحياء التراث، ط٤، ١٤٠٥هـ].

(٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (٨٤١)، وتفسير الطبري (٣٠٤/١٢) [دار طيبة، ١٤٠٩هـ]، تفسير ابن كثير (٤٤٢/٤).

(٦) انظر: تفسير القرطبي (٢٣٩/١٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦٨/٣).

(٧) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٣٨٣/١٣) و(٣٨٥/١٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ]، والتحرير والتنوير (٤٠٩/٩).

*} [الكهف] ، وقوله سبحانه: {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ *} [النمل] ، وقوله تبارك وتعالى: {فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ*} [المدثر] .

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «جاء أعرابي إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال: ما الصور؟ فقال: قرن ينفخ فيه»(١).

وقال صلّى الله عليه وسلّم: «ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى له، وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق، ثم لا يبقى أحد إلا صعق»(٢).

وقال صلّى الله عليه وسلّم: «كيف أنعم، وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينظر متى يؤمر؟» قال المسلمون: يا رسول الله، فما نقول: قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا» ، وفي رواية: «كيف أنعم، وصاحب الصور قد التقم الصور وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر»(٣).

ب- المراد بالنفخ في الصور:

النفخ في الصور : أوكل الله تعالى بالنفخ في القرن ملكًا قد التقمه؛ لينفخ فيه نفختي الصعق والبعث وعلى إثرها تقوم الساعة(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٤٢)، والترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٣٠) وحسنه، وأحمد (٥٣/١١) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨٤٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٠)، وأحمد (١١٣/١١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، واللفظ له.

(٣) أخرجه الترمذي (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٣١) وحسنه، وأحمد (٨٩/١٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٨٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٣٥٦٩) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٤) انظر: رسائل الآخرة (٥٦٣/٣). وراجع: تهذيب اللغة (١٨٦/٧) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

قال الشيخ حافظ الحكمي – رحمه الله- وهو يذكِّر في الإيمان باليوم الآخر: «كذلك يدخل في ذلك الإيمان بالصور والنفخ فيه، الذي جعله الله سبب الفزع والصعق والقيام من القبور، وهو القرن الذي وكَّل الله تعالى به إسرافيل، وقد ذكر الله عزّ وجل النفخ فيه في مواضع من كتابه»[(١)].

الأدلة على النفخ في الصور.

من الأدلة على النفخ: قوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ *} [الزمر] ، وقوله سبحانه: {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ *} [النمل] .

ومنه حديث أوس بن أوس عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي» فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ . يعني وقد بليت . قال: «إن الله عزّ وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء صلوات الله عليهم»[(٢)]:

من أقوال أهل العلم في النفخ في الصور:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية»[(٣)].

وقال الحسن: «هما النفختان: أما الأولى فتميت الأحياء، وأما الثانية فتحيي الموتى»[(٤)].

---

(١) انظر: معارج القبول للحكمي (٢/٧٩٩)، أعلام السُّنَّة المنشورة (١٢٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري معلقًا مجزومًا (كتاب الرقاق، باب نفخ الصور)، ووصله الطبري في تفسيره (٢٤/١٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٤) تفسير الطبري (١٢/٤٢٥).

وقال قتادة: «هما الصيحتان، أما الأولى فتميت كل شيء بإذن الله، وأما الآخرة فتحيي كل شيء بإذن الله»[١].

وقال البغوي مفسرًا الراجفة: «النفخة الأولى، يتزلزل ويتحرك لها كل شيء، ويموت منها جميع الخلائق، {تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ *} وهي النفخة الثانية، ردفت الأولى»[٢].

الملك الموكل بالنفخ في الصور:

هو ملك من الملائكة وكله الله بهذه المهمة .

روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينظر متى يؤمر . قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»[٣].

والمشتهر أن اسمه إسرافيل – حتى حكى بعضهم الإجماع عليه-.

جاء ذلك في بعض الأحاديث –كما في حديث الصور الطويل – وهو حديث منكر[٤].

لكن لم يثبت في تسميته شيء، وما ذكر في أن اسمه إسرافيل عليه السلام لا تقوم به الحجة، ولم يثبت فيه حديث صحيح يعول عليه[٥].

نعم إسرافيل هو أحد الملائكة الثلاثة المفضلين على بقية الملائكة (وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل)، لكن لم يثبت أنه الموكل بالنفخ في الصور. والله أعلم.

---

(١) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٠٦/٨).

(٢) معالم التنزيل (٣٢٦/٨).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال (٣٩) [مكتبة آل ياسر]، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٨٣/١) [مكتبة الدار، ط١]، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٩/١٠) و(٢٨/١١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ]، وغيرهم، وأورده بطوله ابن كثير في النهاية (١٣٦ . ١٤١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨]. ومداره على إسماعيل بن رافع، وهو ضعيف أو متروك، وقد أشار ابن كثير إلى ذلك، وأن في بعض سياقه نكارة، وحكم الألباني بنكارته في ضعيف الترغيب والترهيب (رقم ٢٢٢٤).

(٥) ينظر: فتح الباري (٣٦٩/١١). واليوم الآخر للدكتور ذياب العلوي (ص٨٧٢-٨٧٣).

وقت التقام صاحب القرن القرن: جاء في حديث أبي هريرة رفعه المتقدم: (إنَّ طَرْفَ صاحِبِ الصُّورِ مُذ وَكِّلَ به مُستَعِدٌّ يَنظُرُ نَحوَ العَرْشِ...). فهذا الحديث:

١- يفيد مسارعة التقام صاحب القرن إلى التقام القرن من حين وكل به.

٢- أن التقامه للقرن وقع في ما مضى، ولا ينتظر حصوله في المستقبل.

ولا أعلم خبراً يفيد تحديد ذلك الوقت؛ فالله أعلم به.

عدد مَنْ ينفخ في الصور:

جاء في بعض الأحاديث أن من ينفخ في الصور ملكان، لكن لم يثبت في ذلك خبر صحيح يعول عليه.

وظاهر الأحاديث الثابتة في النفخ في الصور يفيد بأنه ملك واحد، منها حديث عائشة رضي الله عنها المتقدم، وفيه: (... وقد التقم صاحب القرن القرن...)، فظاهر هذا أن ملتقم القرن واحد وليس اثنين أو أكثر من ذلك[١]. والله أعلم

مكان من ينفخ في الصور:

جاء في حديث أبي هريرة رفعه المتقدم: (إنَّ طَرْفَ صاحِبِ الصُّورِ مُذ وَكِّلَ به مُستَعِدٌّ يَنظُرُ نَحوَ العَرْشِ...). فقوله: (يَنظُرُ نَحوَ العَرْشِ): قد يفهم منه أن صاحب الصور تحت العرش.

ولم أقف على خبر يفيد تحديد مكانه سوى هذا الخبر المجمل. فالله أعلم

صفة من ينفخ في الصور:

جاء في الأحاديث ذكر بعض صفته، فمن ذلك:

١- حديث أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ طَرْفَ صاحِبِ الصُّورِ مُذ وَكِّلَ به مُستَعِدٌّ يَنظُرُ نَحوَ العَرْشِ مَخافةَ أن يُؤمَرَ قَبلَ أن يَرتَدَّ إليه طَرْفُه، كأنَّ عينَيه كوكَبانِ دُرِّيَّانِ)) [١].

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٦٨)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني (١٤/ ٩٢١) عند حديث رقم (٦٨٩٦)، واليوم الآخر للدكتور ذياب العلوي (ص٨٧٢-٨٧٣)..

٢- وحديث أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: (كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور، وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينتظر متى يؤمر)[٢].

فأفاد الحديثان عدة صفات ثابتة لملك الصور، منها:

١--أنه يحني ظهر بعد أن التقم القرن.

٢-أنه ينظر بعينيه دائماً إلى جهة العرش أي نظراً مستمراً لا يطرف معه.

٣-أنه يصغي بسمعه كذلك.

٤-أن عينيه كالكوبين الدريين، ولعل ذلك راجع إلى صفة نظره الماضية.

وأما ما ورد عن ملك النفخ في الصور له رجلين إحداهما في المشرق والأخرى في المغرب فالخبر الوارد بذلك منكر لا تقوم به حجة[٣].

عدد النفخات، والخلاف في ذلك.

اختلف العلماء في عدد النفخات، فمن قائل النفخة هي الصعقة والاختلاف بينهما اختلاف في الأوصاف، وهذا مذهب من يقول بنفختين، وفي تفسير النفخة الواردة في الحديث الآنف: «قال الطيبي وتبعه ابن حجر المكي؛ أي: النفخة الأولى؛ فإنها مبدأ قيام الساعة ومقدم النشأة الثانية، ولا منع من الجمع «وفيه الصعقة»؛ أي: الصيحة وهي النفخة الأولى، فالتكرار باعتبار تغاير الوصفين»[٤].

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في ((العظمة)) (٣٩١)، والحاكم (٨٦٧٦) واللَّفظُ له، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٩٩/٤). صحَّح إسناده الحاكم، والألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (١٠٧٨)، وحسَّنه ابن حجر في ((فتح الباري)) (٣٧٦/١١)، وجوَّده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٢٧٠/٥).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (١٨/ ٢٢٨) برقم (١١٦٩٦)، وانظر تخريجه والحكم عليه في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٣/ ٦٦) برقم (١٠٧٩).

(٣) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني (١٤/ ٩٢١) برقم (٦٨٩٦).

(٤) عون المعبود (٢٦٠/٣) [دار الكتب العلمية، ط٢]، وانظر: مرقاة المفاتيح (٣٠/٥) [دار الكتب العلمية، ط١].

ومن قائل: النفخة تختلف عن الصعقة، فـ«المراد بالنفخة الثانية، وبالصعقة النفخة الأولى، وهذا أولى لما فيه من التغاير الحقيقي»[١]. ومن قائل: «وفيه النفخة؛ أي: وفي يوم الجمعة نفخة الصور، وهي النفخة الأولى، والنفخة الثانية وهي نفخة الصعقة، وهي الموت؛ قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ} [الزمر: ٦٨] ، والنفخة الثالثة: نفخة البعث والحشر»[٢].

وهذا يقرب أن يكون مذهب من يقول بثلاث نفخات، الأولى: للفزع، والثانية: للصعق، والثالثة: للبعث، وهو مذهب ابن العربي[٣]، وابن تيمية[٤]، وابن كثير[٥]، والسفاريني[٦]، والشوكاني[٧]، وغيرهم. مستدلين لذلك بقوله تعالى: {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ *} [النمل] ، معتبرين نفخة الفزع مغايرة لنفخة الصعق الواردة في سورة الزمر، ومستدلين أيضًا بحديث الصور الطويل يرفعه أبو هريرة، وفيه: «فينفخ فيه ثلاث نفخات، النفخة الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة البعث والقيام لرب العالمين»[٨].

وفي التعقيب على هذا القول قال القرطبي: «الصحيح في النفخ في الصور أنهما نفختان لا ثلاث، وأن نفخة الفزع إنما تكون راجعة إلى الصعقة؛ لأن الأمرين لازمان لهما؛ أي: فزعوا

---

(١) مرقاة المفاتيح (٣٠/٥). وانظر: فيض القدير (٥٣٥/٢) [المكتبة التجارية، ط١، ١٣٥٦هـ].

(٢) شرح سنن أبي داود (٤٦٦/٤) [مكتبة الرشد، ط١].

(٣) انظر: التذكرة (٢٠٩) [دار قباء للنشر]، وفتح الباري لابن حجر (٣٧٧/٣) [دار الريان، ط١، ١٤٠٧هـ]، وروح المعاني (٣١/٢٠) و(٢٩/٢٤) [دار إحياء التراث العربي، ط٤، ١٤٠٥هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٦٠/٤) (٣٢/١٦) [دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ].

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٣٧٨/٣) [دار الفكر].

(٦) انظر: لوامع الأنوار (١٦١/٢) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١١هـ].

(٧) انظر: فتح القدير (١٥٤/٤) [دار الفكر، ١٤٠٣هـ].

(٨) وهو حديث منكر، تقدم تخريجه.

فزعًا ماتوا منه»[١]؛ «ولأن الله تعالى قد استثنى في نفخة الصعق كما استثنى في نفخة الفزع فدل على أنهما واحدة»[٢].

وأما بالنسبة للحديث فلا يصح؛ لضعف إسناده واضطرابه[٣].

والذي يترجح من كل ما تقدم أن النفخة هي النفخة الأولى في الصور وهي الصعقة ذاتها؛ لأن الصعق مترتب عليها وامتداد لها؛ ولأن النفخ في الصور إنما يقع مرتين على الصحيح، النفخة الأولى للإفناء، والثانية للإنشاء، وبذا يجمع بين الأدلة ويزول الإشكال.

ويؤيد ما تقدم:

قول ابن عباس رضي الله عنهما: «الراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية»[٤]،

وقول الحسن: «هما النفختان: أما الأولى فتميت الأحياء، وأما الثانية فتحيي الموتى»[٥].

وفي الحديث قال صلّى الله عليه وسلّم: «ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى له، وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق، ثم لا يبقى أحد إلا صعق، ثم يرسل الله ـ أو: ينزل الله ـ قطرًا كأنه الطل أو الظل» ـ نعمان الشاكُّ ـ «فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون»، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ»، فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ ـ يعني: وقد بليت ـ قال: «إن الله عزّ وجل حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء صلوات الله عليهم»[٦].

---

(١) تفسير القرطبي (٢٤٠/١٣) [دار إحياء التراث].

(٢) المرجع نفسه.

(٣) انظر: فتح الباري (٣٧٧/١١) [دار الفكر]، وما تقدم من تخريج الحديث.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تفسير الطبري (٤٢٥/١٢).

(٦) تقدم تخريجه.

وهذه النصوص تبطل قول من قال بأن النفخات ثلاث، ولا حجة لهم صحيحة فيما استدلوا به[١].

مدة ما بين النفختين:

قد جاءت النصوص بتحديد الفترة الزمنية بين النفختين بأربعين، ولا ندري أهي أربعون يومًا؟ أم أربعون شهرًا؟ أم أربعون سنة؟

قال صلّى الله عليه وسلّم: «بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قال: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت، «ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه، فيه يُرَكَّب الخلق»[٢].

النفخة الأولى:

تسمى: الراجفة، من رَجَفَ الشيءُ يَرجُفُ رَجْفًا وَرَجَفَانًا؛ إذا تحرك واضطرب اضطرابًا شديدًا[٣]، كرَجَفانِ البعير تحت الرحل، وكما تَرجُفُ الشجرةُ إذا رَجَفَتْها الرِّيحُ، والرجْفةُ: الزَّلْزَلَةُ، ورجَفَتِ الأَرض تَرْجُفُ رجْفًا اضطَربت، والرَّجْفةُ في القرآن كلُّ عذاب أَخَذَ قومًا فهي رجْفَةٌ وصَيْحةٌ وصاعِقةٌ[٤].

والمراد بها شرعًا: النفخة الأولى التي ينفخها الملك في الصور، فيصعق بها من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، وعلى إثرها تقوم الساعة.

وسميت بذلك؛ لأنه يتزلزل ويتحرك كل شيء، ثم منها يموت جميع الخلائق.

---

(١) انظر: التذكرة في أحوال الموتى والآخرة (٢٠٩) [دار قباء للنشر]، والجامع لأحكام القرآن (٢٤٠/١٣)، وفتح الباري لابن حجر (٣٧٧/٣) [دار الريان، ط١، ١٤٠٧هـ]، وروح المعاني (٣١/٢٠)، (٢٩/٢٤) [دار إحياء التراث، ط٤]، ومجموع الفتاوى (٢٦٠/٤) و(٣٢/١٦) [دار عالم الكتب، ط١٤١٢هـ]، وتفسير ابن كثير (٣٧٨/٣)، ولوامع الأنوار (١٦١/٢) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١١هـ]، وفتح القدير (١٥٣/٤) [دار الفكر، ١٤٠٣هـ].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٣١/١١)، وجمهرة اللغة لابن دريد (٢٨٨/١)، والمعجم الوسيط (٣٣٢/١).

(٤) لسان العرب (١١٢/١٩).

وتسمى: النفخة، والصعقة، والصيحة[١].

والإيمان بها واجب، فلا بد من الاعتقاد الجازم بحصولها، والتصديق بما دلَّت عليه النصوص بشأنها. فهي إحدى مفردات اليوم الآخر التي تسبق الحشر والنشر.

ومن أدلتها قوله تعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ *تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ *} [النازعات] ، وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله تعالى غالية، ألا إن سلعة الله الجنة، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه»[٢].

قال الحسن عند قوله تعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ *تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ *} [النازعات] : «هما النفختان، فأما الأولى: فتميت الأحياء، وأما الثانية: فتحيي الموتى، ثم تلا: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ *} [الزمر] »[٣].

من الآثار المترتبة على النفخة الأولى ما يأتي:

١ ـ أن النفخة الأولى هي بداية الساعة.

فينفخ في الصور وتقوم الساعة كما قال عبد الله بن عمرو قال: «لينفخن في الصور، والناس في طرقهم وأسواقهم ومجالسهم، وحتى إن الرجل ليغدو من بيته فلا يرجع حتى ينفخ في الصور، وهي التي قال الله: {مَا يَنْظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ *فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلاَ إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ *} [يس] »[٤]، قال الألوسي: «هي النفخة الأولى في الصور التي يموت بها أهل الأرض تأخذهم وهم يتخاصمون ويتنازعون في معاملاتهم

---

(١) وانظر: نظم الدرر (٨/٣١٠) [دار الكتب العلمية، ط١٤١٥هـ].

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٥٧) وحسَّنه، وأحمد (٣٥/١٦٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم في المستدرك (كتاب الرقاق، رقم ٧٨٥٢) واللفظ له، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٥٤).

(٣) بحر العلوم (٣/٥٢٠).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠/٥٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط١].

ومتاجرهم لا يخطر ببالهم شيء من مخايلها، فلا يستطيعون توصية في شيء من أمورهم إذ كانوا فيما بين أهليهم»[١].

٢ ـ أن النفخة الأولى يتبعها تغيير عام في الكون كله علويه وسفليه، لقوله صلّى الله عليه وسلّم فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين، فليقرأ إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت» وأحسبه أنه قال: «سورة هود»[٢].

٣ ـ أن الله يقبض الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: «أنا الملك أين ملوك الأرض».

قال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ *} [الزمر] ، وقال صلّى الله عليه وسلّم: «يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»[٣].

وهذا ـ والله تعالى أعلم ـ بعد النفخة الأولى وهلاك الخلق؛ «لأن المقصود إظهاره انفراده تعالى بالملك عند انقطاع دعوى المدعين وانتساب المنتسبين، إذ قد ذهب كل ملك وملكه وكل جبار ومتكبر وملكه، وانقطعت نسبتهم ودعاويهم، وهذا أظهر، وهو مقتضى قوله الحق: أنا الملك أين ملوك الأرض»[٤].

٤ ـ فناء من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله تعالى.

قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ *} [الزمر] .

---

(١) روح المعاني (٣١/١٣).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣٣٣)، وأحمد (٤٢٣/٨) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والحاكم (كتاب الأهوال، رقم ٨٧١٩) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٨١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨١٢)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٧).

(٤) التذكرة (١٩٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الاستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحور العين فإن الجنة ليس فيها موت ومتناول لغيرهم. ولا يمكن الجزم بكل من استثناه الله، فإن الله أطلق في كتابه. وقد ثبت في «الصحيح» أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى آخذًا بساق العرش فلا أدري هل أفاق قبلي أم كان ممن استثناه الله»[١]، وهذه الصعقة قد قيل: إنها رابعة، وقيل: إنها من المذكورات في القرآن. وبكل حال: النبي صلّى الله عليه وسلّم قد توقف في موسى وهل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه الله أم لا؟ فإذا كان النبي صلّى الله عليه وسلّم لم يخبر بكل من استثنى الله لم يمكنا نحن أن نجزم بذلك، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة وأعيان الأنبياء وأمثال ذلك مما لم يخبر به، وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر، والله أعلم»[٢].

النفخة الثانية:

هي: الرادفة، من الرِّدْفُ، وهو ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئًا فهو رِدْفُه، يقال: كان نزل بهم أمر فردف لهم آخر أعظم منه، قال تعالى: {تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ *} [النازعات] ، ويقال: جاء القوم رُدَافَىٰ؛ أي: بعضهم يتبع بعضًا[٣].

وهي شرعًا: نفخة الصور الثانية، التي ينفخها الملك في الصور فتبعث على إثرها الخلائق.

وسميت بذلك؛ «لأنها ردفت النفخة الأولى، كذا قال جمهور المفسرين»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الخصومات، رقم ٢٤١١)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٦١/٤). وانظر للتوسع: التذكرة للقرطبي (١٨٨ - ١٩٢)، وفتح الباري لابن حجر (٥١٢/٦، ٥١٣)، و(٣٧٨/١١)، وتفسير القرطبي (٢٨٠/١٥ - ٢٨١)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٦١/٤)، و(٣٦/١٦)، ومعالم التنزيل (١٨١/٦، ١٨٢)، وروح المعاني (٣٣/٢٠، ٣٤)، وفتح القدير (٤٧٥/٤)، وتفسير الطبري (٢٧/١١ - ٢٩)، وتفسير ابن كثير (٦٥/٤)، وزاد المسير (١٩٥/٦)، والنهاية في الفتن والملاحم (١٤٦/١) [دار الفكر]، ولوامع الأنوار (٣٧/٢، ٦١).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٦٨/١٤) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، والصحاح (٥٠/٥) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ولسان العرب (١١٤/٩) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ].

(٤) فتح القدير (٥٢٦/٥) [دار الفكر، ط١٤٠٣هـ].

والإيمان بالرادفة واجب، إذ هي أحد مفردات اليوم الآخر التي تسبق الحشر والنشر، وقد ورد النص عليها.

ومن أدلتها قوله تعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ *تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ *} [النازعات] ، وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله تعالى غالية، ألا إن سلعة الله الجنة، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه»(١) .

قال ابن عباس: «الرادفة: النفخة الثانية»(٢)، وقال قتادة: «هما الصيحتان، أما الأولى: فتميت كل شيء بإذن الله، وأما الآخرة: فتحيي كل شيء بإذن الله»(٣). وهو قول جمع من الصحابة والتابعين.

. من الآثار المترتبة على النفخة الثانية ما يأتي:

١ . قيام الناس من القبور.

قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ *} [يس] ، وقال جلّ جلاله: {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ *فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ *} [النازعات] ، قال ابن كثير: «أي: فإنما هو أمر من الله تعالى لا مثنوية فيه ولا تأكيد، فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر تعالى إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث، فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب عزّ وجل ينظرون»(٤).

وقد مرَّ حديث عبد الله بن عمرو المرفوع، وفيه: «ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون».

٢ . بهذه النفخة وبعد البعث تتابع أحوال القيامة.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري معلقًا (كتاب التفسير، رقم ١٨٨١)، ووصله الطبري في تفسيره (٤٢٤/١٢) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٠٦/٨) [دار الفكر، ١٤١٤هـ].

(٤) تفسير ابن كثير (٤٦٨/٤).

بداية من ساعة الحشر إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون» قال: «ثم يقال: يا أيها الناس هلمّوا إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسؤولون» ، قال: «ثم يقال: أخرجوا بعث النار» قال: «فيقال: كم؟ فيقال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون، فيومئذ يبعث الولدان شيبًا، ويومئذ يكشف عن ساق»[١].

حقيقة الصعق:

هو أثر نفخة الصور الأولى؛ فبعدها يصعق من في السماوات ومن في الأرض ويموتون إلاَّ من شاء الله، ثم بعد النفخة الثانية يفيق الخلق أجمعون؛ قيامًا للحساب[٢].

المستثنون من الصعق:

اختلف العلماء في تعيين الذين عناهم الله تعالى بالاستثناء في قوله عزّ وجل: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ} [الزمر: ٦٨] ، حتى عدَّ منها عشرة أقوال: فمنهم من قال: الأنبياء، ومنهم من قال الشهداء، وقيل: موسى وحده، وقيل: الوِلْدان في الجنة، والحور العين، وقيل غير ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الاستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحور العين، فإن الجنة ليس فيها موت، ومتناول لغيرهم، ولا يمكن الجزم بكل ما استثناه الله، فإن الله أطلق في كتابه...والنبي صلّى الله عليه وسلّم قد توقف في موسى؛ هل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه الله أم لا؟ فإذا كان النبي صلّى الله عليه وسلّم لم يخبر بكل من استثنى الله، لم يمكننا نحن أن نجزم بذلك، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة وأعيان الأنبياء وأمثال ذلك مما لم يخبر الله به، وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر والله أعلم»[٣].

---

(١) تتمة حديث عبد الله بن عمرو المتقدم تخريجه.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٣٠/١٥)، فتح الباري لابن حجر (٤٣٠/٦، ٤٤٤).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٦١/٤). وانظر: التذكرة للقرطبي (١٨٨).

عدد الصعقات وبيان المراد بحديث: «فلا أدري؛ أكان فيمن صعق فأفاق قبلي...»:

قال القرطبي: «باب في قول الله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ} [الزمر: ٦٨] ، وهم الملائكة أو الشهداء أو حملة العرش، صعق: مات»[١].

وذكر بعض أهل العلم أن الصعقة تكون بعد النفخة الأولى[٢].

وهذه الصعقة تختلف عن الصعقة الواردة في قوله صلّى الله عليه وسلّم: «لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله»[٣].

وفي رواية: «فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور»[٤].

فالذي يظهر أن هذه الصعقة تكون بعد البعث، وهي التي استثني منها موسى عليه السلام، وقد أشار القاضي عياض إلى ذلك، إذ قال: «يحتمل أن هذه الصعقة صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماوات والأرض، يدل عليه قوله: «فأفاق قبلي» ؛ لأنه إنما يقال أفاق من الغشي، وأما الموت فيقال: بعث منه، وصعقة الطور لم تكن موتًا»[٥] [٦]، وقال ابن كثير: «الظاهر أن هذا الصعق يكون في عرصات القيامة، يحصل أمر يصعقون منه والله أعلم به، وقد يكون ذلك إذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء وتجلَّى للخلائق الملك الدَّيان،

---

(١) التذكرة (١٨٨).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٣٠/١٥)، وفتح الباري لابن حجر (٤٣٠/٦، ٤٤٤)، وراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٠/٥)، وعون المعبود شرح سنن أبي داود (٢٦٠/٣) [دار الكتب العلمية، ط٢].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الخصومات، رقم ٢٤١١)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٩٨).

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي (١٣٠/١٥) [دار الكتب العلمية].

كما صعق موسى من تجلي الرب تبارك وتعالى ، ولهذا قال عليه السلام: «فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور»»[١].

وهو ما ذهب إليه ابن القيِّم؛ إذ قال: «هذا صعق في موقف القيامة إذا جاء الله تعالى لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنوره، فحينئذ تصعق الخلائق كلهم، قال تعالى: {فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ *} [الطور] ، ولو كان هذا الصعق موتًا لكانت موتة أخرى، وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء»[٢].

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

تمت في ١٤٤٥/٣/٢٠هـ

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٠٠) [دار طيبة، ط٢].

(٢) الروح (٣٣) [دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤١٠هـ]، وانظر: فتح الباري (١٠/٢٥٠) [دار الفكر].